

ضيق بني أمية في عصر الخلافة

٥٤١ - ٥١٢٢ هـ / ٢٦٦١ - ٢٧٥٠ م

مكتوب
صفاء حافظ عبد الفتاح
طبعة آراب بنها

١٩٩١

المقدمة

كان تملك الأرض الزراعية فى العصر الأموى يعد استثماراً يعود بالربح الكبير على صاحبه ، ولما كان الأمويون يهتمون بتنمية مواردهم الاقتصادية وثرواتهم الخاصة ؛ فقد أقبلوا على تكوين الضياع وتملكها، وأدى ذلك إلى ظهور مايعرف « بضياع بنى أمية» .

وقد شمل هذا التعبير إلى جانب الضياع مايمتلكه الأمويون من ممتلكات أخرى تغل أرباحاً ، كالدور والحوانيت والقياسر والطواحين وغيرها . وكان للأمويين وسائلهم التى تملكوا عن طريقها هذه الضياع، كما كان لهم وسائلهم أيضاً فى تنميتها وإدارتها .

وقد تناولت فى هذه الدراسة الأصناف التى انقسمت إليها الأرض الزراعية فى عهد الخلفاء الراشدين ، ثم تحدثت عن الوسائل التى اتبعها الأمويون فى تكوين الضياع والتى استغلوا فى معظمها أصناف الأرض السابقة ، والتى كان من أهمها أرض الصوافى . ثم تحدثت عن العلاقة المتبادلة التى ربطت بين تكوين الضياع الأموية وانتشار العمران المدنى فى عهدهم ، ثم ختمت البحث بالحديث عن كيفية إدارة هذه الضياع .

والله المستعان .

د . صفا، حافظ عبدالفتاح

القاهرة فى أكتوبر ١٩٩١م

الأراضي الزراعية قبل العهد الأموي :

كانت البلاد التي فتحها المسلمون - وتكونت منها دولة الخلافة - في معظمها بلاداً زراعية ، وقد اختلفت أحكام ملكية الأراضي الزراعية في هذه البلاد باختلاف طريقة الفتح ، فما فتح منها عنوة كانت ملكيته تختلف عما فتح منها صلحاً، وقد اهتم الفقهاء المسلمون بتصنيف الأراضي الزراعية ، لما يترتب على ذلك من اختلاف في الضريبة المفروضة عليها ، فصنفت هذه الأراضي على النحو التالي :

(أ) أرض يدفع عنها أصحابها ضريبة الخراج(١): وتتكون من الأراضي التي امتلكها المسلمون عنوة ولم تقسم بينهم، وأوقفت على

(١) الخراج : مقدار معين من المال يفرض على الأرض الزراعية ، ويجبى نقداً أو عيناً من المحصول الناتج من الأرض ، وفرض الخراج في بداية الأمر تبعاً للمساحة المزروعة ، ثم عدلت الجباية ، في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٥٥-٧٨٥م) فأصبح الخراج يجبى بنظام المقاسمة على المحصول ، ويحصل عيناً ، ولما ضعفت الدولة العباسية ساد نظام الإقطاع في جباية الخراج . انظر ، أبو يوسف ، الخراج ، ضمن كتاب موسوعة الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٥٠ . ٥٨ ، المارودي، الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٥٢ - ١٧٢ - ١٧٦ ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٥٦ ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحيني ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٩٥ ، ضياء الدين الرئيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١١٧ ، ١٢٥ .

مصالح الأمة ، وكذلك الأراضى التى فتحها المسلمون صلحاً بدون قتال وتركت فى أيدي أهلها من غير المسلمين(٢).

(ب) أراضى يدفع عنها ضريبة العشر(٣): وهى الأراضى التى أسلم عليها أربابها بدون قتال ، والأراضى التى أمتلكها المسلمون عنوة وجرى تقسيمها بينهم ، والأراضى التى استأنف المسلمون إحياءها ، والأراضى التى بقيت فى أيدي أهلها من غير المسلمين مقابل دفع الخراج ، إذا ماباعوها للمسلمين سقط عنها الخراج وأصبحت أرضاً عشرية وكانت أرض العشر تعتبر ملكية خاصة ، يتصرف فيها صاحبها بالبيع والشراء(٤).

(٢) عن أصناف الأرض الخراجية . انظر ، أبو عبيد ، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس ، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١ ، ص ٥٧، الماوردى، المصدر السابق، ص ١٤٧، الحنبلى، الاستخراج لأحكام الخراج، ضمن كتاب موسوعة الخراج، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٩، ص ٤٠-٤٦.

(٣) كان صاحب الأرض العشرية يدفع عنها عشر المحصول إذا زاد كيلة عن خمسة أومق أو مائتى درهم إذا كانت سهلة الرى ، ويدفع نصف العشر فى حالة صعوبة الرى ، هذا العشر أو نصفه الذى كان يدفع عن هذه الأرض كان فى حكم الزكاة باعتبار أن محصول هذه الأرض يكون من الأموال الخاصة التى يتولى جبايتها عامل الصدقات ليتولى انفاقها فى الوجوه المخصصة لمصارف الصدقات . انظر ، أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٤٢١ - ٤٢١ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١١٨ - ١١٩ ، ١٤٧ .

(٤) عن أصناف أرض العشر . انظر ، أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ، أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ١١ - ١٢ .

(ج) أما الصنف الثالث من الأراضي ، فهي أرض الصوافي (٥) ، ويعرف الماوردي (٦) صوافي الأرض فيقول : « ما أصطفاه الإمام لبيت المال من فتوح البلاد ، إما بحق الخمس (٧) فيأخذه باستحقاق أهله له ، وأما بأن يصطفيه باستطابة نفوس الغانمين عنه » .

وقد سميت هذه الأراضي « بالصوافي » لأن الخليفة عمر بن الخطاب أمتصفها ، أى جعلها خالصة لبيت المال ، وسميت أيضا « بالقطائع » (٨) لأنها أقطعت فيما بعد لمن يتعهدونها ، وسميت

(٥) الصوافي : هى ما يستصفيه الإمام من الغنيمة قبل القسمة . ويرجع أصلها إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان له صفى من كل مغنم ، عبد أو أمة . انظر . أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٦) الماوردي ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٧) الخمس : هو الخمس الذى كان يؤخذ من أموال الفء التى تصل للمسلمين ليقسم بين أهله بنص القرآن إلى خمسة أسهم : سهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وسهم لأقربائه ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل . انظر . سورة الحشر آية (٧) . الماوردي ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٨) الإقطاع هو : « أن يقطع السلطان أرضا ، فتصير له رقبته وتسمى تلك الأرضون قطائع ، واحدتها قطعية » . والإقطاع نوعان : النوع الأول : إقطاع تمليك : ويكون لصاحبه حق التصرف فيه بالبيع ، والإيجار ، والتوريث ، وكان يمنح من الأرض التى ليس لها ملاك . النوع الثانى : إقطاع استغلال : وليس لصاحبه حق التصرف فيه إلا حق

كذلك « صوافى الأثمار » (٩) .

وتكونت أرض الصوافى من الأراضى التى لم يكن لها ملاك عند
الفتح ، وقد وجد المسلمون عدة أنواع من هذه الأراضى فى الأقاليم
التى كانت تتكون منها الدولة الفارسية فى بلاد فارس والعراق ، فكان
منها : الأراضى التى كان يمتلكها كسرى وأهل بيته وكبار رجال
دولته ، والأراضى التى قتل ملاكها فى الحرب أو هربوا ، والأراضى
التى تكونت بعد أن غاضت المياه عنها على ضفاف الأنهار ، والأراضى

استغذله فقط ، ويعود للدولة مرة أخرى بعد انتهاء مدة إقطاعه ، وكان غالبا
يمنح بدلا من الأرزاق ، ومن أمثله ما منح للجند عندما ضعفت الدولة العباسية
وعجزت عن جمع الخراج ، وكذلك ما كان يمنح للوزراء فى العصر العباسى
الثانى بدلا من أرزاقهم . انظر ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٩٠-١٩٨ ،
الخوارزمى ، المصدر السابق ، ص ٤٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ،
بيروت ١٩٧٩ م ، ج ٤ ص ٣٧٦ ، الصابى ، تحفة الأمراء فى تاريخ
الوزراء ، تحقيق عبد الستار فرج ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ م ص
٢٩ ، ٢٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٧٨ ، السيد الباز العرينى ، الإقطاع فى الشرق الأوسط
منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، حويلات كلية آداب عين
شمس المجلد الرابع ، يناير ١٩٥٧ م ، ص ١١٩ - ١٢٣ .

(٩) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ،
تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ،
ص ٢٢٤ .

التي كانت موقوفة على بيوت النار ، والأراضى التي كانت لسكك البريد (١٠).

أما فى الأقاليم التى فتحها المسلمون وكانت تابعة لدولة الروم كبلاد الشام ومصر ، فقد تكونت أرض الصوافى من الأراضى التى كان يمتلكها الامبراطور البيزنطى ، وكبار الموظفين ، وقواد الجيش ، ورجال الدين ، الذين فروا إلى بلاد الروم بعد هزيمتهم أمام جيوش المسلمين (١١).

(١٠) عن أنواع أرض الصوافى فى الدولة الفارسية . انظر ، أبو يوسف، المصدر السابق ، ص ٥٧-٥٨ ، يحيى بن آدم ، الخراج ، ضمن كتاب موسوعة الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م، ص ٦٤، البلاذرى، المصدر السابق ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ، الحنبلى، المصدر السابق، ص ١٠٤ ، المقرئى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ج ١ ص ٩٦ - ٩٧ .

(١١) يذكر ابن عساكر أن من أرض الصوافى ببلاد الشام : الأرض المسماة « أندركيسان » بدمشق ، و « قبيس » بالبلقاء ، و « جيعانا » بحمص ، والمنازل والدور بدمشق . انظر ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير، تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة . بيروت ج ١ ص ١٨٢-١٨٤ . ويذكر ابن عبد الحكم أن الأراضى التى آلت للدولة الإسلامية فى مصر كانت فى الأصل ملكا لكبار الملاك من غير المصريين الذين هربوا أثناء الفتح . وكذلك أرض الرهبان ممن لا وراث لهم ، وكانت أيضا الدور والمنازل التى هجرها أصحابها عند دخول العرب مصر . انظر ، ابن عبد الحكم ،

كانت سياسة الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤م - ٦٤٤م) هي عدم السماح للعرب بامتلاك أو زراعة الأرض خارج الجزيرة العربية ، حتى لا ينشغل العرب عن رسالتهم الأساسية - وهي الجهاد في سبيل الله - بالأعمال الزراعية وما يترتب على ذلك من حب الاستقرار بجانب الأرض (١٢)، وانعكست هذه السياسة على موقف عمر ابن الخطاب من أرض الصوافي التي آلت للدولة أثناء الفتوحات في عهده، فلم يقطعها (١٣)، واستثمرها لصالح بيت المال،

فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، دار التعاون ، القاهرة، ص ٦٨، ٩٢ . وانظر ، سيدة كاشف، مصر في فجر الإسلام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٤٨ .
Fateh, " Taxation in persia " Bulletin of the school
of oriental studies, London Institution, Vol. IV,
1926 - 1928, P736.

(١٢) عن نهى الخليفة عمر بن الخطاب الجند العرب عن الزرع .
انظر، ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ١١١ ، المقرئى، المصدر السابق،
ح ٢ ، ص ٢٥٩ ، فهلوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادى
أبو ريدة ، نشر وزارة الثقافة ، القاهرة ، ص ٢٨-٢٩ .

(١٣) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، الماوردى ، المصدر
السابق، ص ١٩٢ ، يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص ٦٤ ، وخالف أبو
يوسف ، المصدر السابق ، ص ٨٠ فذكر أن عمر كان يقطع هذه الأرض ، ولكنه
لم يذكر أمثلة لهذه الإقطاعات .

وصرف غلتها - التى تعددت الأقوال فى مقدارها - (١٤) فى مصالح المسلمين ، ولم يعرف عن الخليفة عمر أنه أقطع أحداً إلا الاقطاع الذى منحه فى مصر لابن سندر (١٥) عملاً بوصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا الاستثناء فى الحقيقة يثبت عدم قيام الخليفة عمر بإقطاع أرض الصوافى عامة .

أما الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٢٥هـ / ٦٤٤-٦٥٦م) فقد

(١٤) ذكر أبو يوسف ويحيى بن آدم أن مقدار غلة أرض الصوافى كانت أربعة آلاف ألف ، وأنفق كل من البلاذرى والحنبللى ، أن الغلة بلغت سبعة آلاف ألف ، وذكر كل من الماوردى والمقرئزى أن مقدارها كان تسعة آلاف ألف درهم. انظر ، أبو يوسف المصدر السابق ، ص ٥٧ ، البلاذرى ، المصدر السابق ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ ، يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص ٦٤ ، الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، المقرئزى ، المصدر السابق ، ح ١ ص ٩٦ .

(١٥) كان ابن سندر غلاماً لزنباع الجذامى ، غضب عليه لأمر سىء رآه عليه فجذع أنفه وأذنيه ، فذهب ابن سندر للرسول (صلى الله عليه وسلم) وشكى إليه زنباع ، فاعتقه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأوصى الرسول (صلى الله عليه وسلم) المسلمين بأمر العبيد وخص ابن سندر بقوله له : « أوصى بك كل مسلم » ، فعاله أبو بكر ، فلما توفى أبو بكر طلب ابن سندر من الخليفة عمر بن الخطاب أن يوصى به فى مصر لرغبته فى الإقامة بها فأقطعه ألف فدان بمصر ، وعاش ابن سندر منها. انظر ، ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص ٩٦-٩٧ ، المقرئزى، المصدر السابق ، ط ح ٩٦ .

اختلفت سياسته تجاه أرض الصوافى عن سياسة الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد رأى أن إقطاع هذه الأرض لمن يعمرها ويقوم بخراجها أوفر لغلتها من تعطيلها ، فقام بإقطاعها وشرط على من أقطعه إياها أن يأخذ منه حق الفىء (١٦) ، فكان ذلك إقطاع إجارة ، لا إقطاع تمليك ، ونتج عن ذلك أن ازدادت غلتها حتى بلغت على ما قيل خمسين ألف ألف درهم ، فكان منها صلاته وعطاياه (١٧) .

وعلى الرغم من اختلاف موقف كل من الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان من أرض الصوافى، بأن امتنع الأول عن إقطاعها واستغلها لصالح المسلمين، وقام الثانى بإقطاعها لمن استغلها ودفع الخمس من غلتها، وعلى الرغم من عدم رضى البعض عن سياسة عثمان فى تغيير منة عمرو إقطاع أرض الصوافى لمن أقطعهم إياها (١٨)

(١٦) الفىء : هو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ، ولا بايجاف خيل ولا ركاب ، وهو يختلف عن الغنيمة لأن الغنيمة تؤخذ قهراً وحق الفىء هو الخمس الذى نص القرآن على مصرفه فى قوله تعالى : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) . انظر ، سورة الحشر، آية (٧) ، أبو عبيد، المصدر السابق ، ص ٢٠-٢٢ ، الماوردى، المصدر السابق ص١٢٦-١٢٧ .

(١٧) الماوردى، المصدر السابق، ص١٩٣ ، الحنبلى ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

(١٨) الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ ، ١٧٠-١٧١ ، ١٩٣ ، ضياء الدين الرئيس ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ ، السيد الباز العرينى ، الأقطاع فى الشرق الأوسط ، ص ١٢٠ .

إلا أن الخليفة على بن أبى طالب (٣٥-٤٠هـ / ٦٥٠-٦٦١م) لم يغير من وضع أرض الصوافى التى أقطعها عثمان من قبله (١٩) ، وبقيت هذه الأرض فى أيدي من أقطعت لهم مسجلة باسمائهم فى الدواوين حتى العهد الأموى (٢٠).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لم يعرف عن الخلفاء الراشدين أنهم استولوا على أية مساحة من أرض الصوافى لأنفسهم أو أنهم امتلكوا منها شيئا باسم الخلافة ، بل كانت سواء فى حالة إقطاعها أو عدم إقطاعها أرضاً تمتلكها الأمة الإسلامية ، وتنفق غلتها فى مصالح المسلمين .

الوسائل التى اتبعها الأمويون فى تملك الضياع :

لما استولى الأمويون على الخلافة وأستتب لهم أمرها فى سنة (٤١هـ / ٦٦١م) ، عملوا على تنمية الموارد الاقتصادية الخاصة بهم ، حتى يتسنى لهم القيام بالأمر ، وكانت حاجة الأمويين ماسة إلى استمالة القلوب بالمنح والعطايا ، هذا بالإضافة إلى ما يتطلبه منصب الخلافة من نفقات إذ تحول هذا المنصب فى عهدهم إلى منصب تحيط به الأبهة والعظمة، ووجد الأمويون أن سبيلهم إلى ذلك هو

(١٩) يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص ٧٩ . الحنبلى ، المصدر السابق ص ١٠٤ ، المقرئى ، المصدر السابق ، ح ١ ص ٩٦ .
(٢٠) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٥٧ . البلاذرى ، المصدر السابق ص ٣٣٤ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ ، المقرئى ، المصدر السابق، ح ١ ص ٩٦ .

تملك الأرض الزراعية ، فالأرض الزراعية استثمار جيد يدر دخلها عائداً مادياً عظيماً إذا ما أحسن استغلالها ، فكان أن عمل الأمويون الخلفاء منهم والأمراء على امتلاك الضياع^(٢١) الكبيرة فى أماكن متعددة من أقاليم الدولة ، وظهر منذ عهدهم اصطلاح « ضياع بنى أمية » و « ضياع الخلافة »^(٢٢) ، ليعنى الضياع التى يمتلكها الخلفاء الأمويون وذويهم ويتوارثونها . وكان للأمويين وسائلهم التى امتلكوا عن طريقها الضياع سائلة الذكر خلال فترات الاستقرار من حكمهم ، فلما ضعفت الدولة واجتاحتها الفتن والحروب انصرف الخلفاء عن هذا الأمر .

الاقطاعات :

كانت أولى الوسائل التى اتبعها الأمويون لتملك الضياع هى الاقطاعات التى كان يقطعها الخليفة الأموى القائم بالحكم لأهل بيته من أرض الصوافى العامرة أى الصالحة للزراعة ، وفى الواقع امتلك الأمويون الإقطاعات من أرض الصوافى قبل توليتهم الخلافة ، منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان الذى أقطع الكثير من أرض الصوافى - كما ذكرنا - وفاز الأمويون من هذه الإقطاعات بنصيب كبير وكان

(٢١) الضياع : جمع ضيعة ، ضيع ، ومن معانيها العقار ، والمنازل ، والأرض المغلة ، ومعنى الضيعة عند الحضر مال الرجل من النخل والكرم والأرض ، أما عند العرب فمعناها الحرفة والصناعة والتجارة . انظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ج٤ ص ٢٦٢٤ .

(٢٢) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ٣٨٢ ، ٤٠٥ .

ذلك مما أخذ عليه (٢٣) ، فأقطع مروان بن الحكم (٢٤) موضع سوق يقال له مهروز (٢٥) بالمدينة المنورة (٢٦) وأقطع عثمان بن أبي العاص بالبصرة الأرض التي تعرف بشط عثمان (٢٧) ، وأقطع معاوية

(٢٣) الماوردي ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٧٠-١٧١ ، ١٩٢ ، السيد الباز العريني ، الاقطاع في الشرق الأوسط ، ص ١٢٠ .

(٢٤) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ، كان من المقربين للخليفة عثمان بن عفان وتولى الكتابة له ، وبسببه حاصر الثوار دار عثمان بالمدينة أثناء الفتنة ، وولاه معاوية بن أبي سفيان ولاية المدينة مرتين في سنة (٤٢-٤٩هـ) ثم في سنة (٥٦-٥٧هـ) ، وتولى الخلافة في سنة (٦٤-٦٥هـ) ، ومن نسله كان الخلفاء الأمويون الذين عرفوا بالمرأويين ، وهو موثق عند أهل الحديث ويعدوه من الفقهاء ، انظر ، الزبيرى ، نسب قریش ، تحقيق !. ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، ١٨٧ ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٨٧ ، ابن طباطبا ، الفخرى في الآداب السلطانية ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٠٢-١٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ٢٧٧-٢٨١ .

(٢٥) مهروز : اسم واد بعلية المدينة ، كان يسيل بماء المطر ، وقد سال المطر به سنة (١٥٦هـ/٧٧٢م) حتى كاد يغرق المدينة ، ومن المرجح أن موضع السوق كان به . انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، ح ٢٣٤ ، الفيروزبادي ، المغانم المطابة في معالم طابة ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩٨ .

(٢٦) الماوردي : المصدر السابق ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٢٧) أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

بن أبي سفيان أثناء ولايته له على بلاد الشام (١٧-٤١هـ/ ٦٣٨-٦٦١م) (٢٨) أرض الصوافي التي كانت ببلاد الشام ، فقد كتب إليه معاوية كتاباً يشكو فيه قلة الرزق الذي يجري عليه ، وأنه لايفى بما يتطلبه منصبه من نفقات ، فهو كوال لبلاد الشام يقابل وفود الولايات الأخرى ورسل الولاة ، ويقابل أيضا رسل الروم ووفودهم ، وسأل الخليفة أن يمنحه أرض الصوافي الموجودة بالشام إقطاعا يستعين بدخله على احتياجات منصبه ، ووصف للخليفة هذه الأرض ، وسماها له ، وذكر له أنها ليست ملكا لأحد من أهل الزمة ، وليست من أرض الخراج ، فوافق الخليفة عثمان بن عفان على إقطاعه هذه الأرض ، وكتب له كتاباً بها ، وظلت تلك الصوافي بيد معاوية على حالها طوال ولايته لبلاد الشام (٢٩).

(٢٨) معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكتاب الوحي ، شارك في فتوحات الشام ، وتولى ولاية الشام بعد وفاة أخيه يزيد في سنة (١٧هـ/ ٦٣٨م) في عهد عمر بن الخطاب ثم في عهد عثمان بن عفان ، ولما قتل عثمان بايعه أهل الشام بالخلافة والمطالبة بدم عثمان وأشتبك مع علي بن أبي طالب في صراع طويل وولى الخلافة في سنة (٤١هـ/ ٦٦١م) بعد مقتل علي بن أبي طالب وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية . انظر ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٨٠م ، ج٢ ص ٣٧٤ ، ج٣ ص ١٤١ ، ٢٠٢-٢٠٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ج٢ ص ٨-١١ ، ابن طباطبغا ، المصدر السابق ، ص١٠٣-١٠٤ .

(٢٩) ابن عساكر ، المصدر السابق ، ج١ ص ١٨٤ .

ولما تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٨٠م) قام بعمل مسح شامل لأرض الصوافى بالدولة، وقام بالاستيلاء على الكثير منها ، وحاز منها لنفسه ، وأقطع أهل بيته، وفى ذلك يقول اليعقوبى (٣٠) « أخرج معاوية من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة ، وجعله صافيا لنفسه، فأقطعه جماعة من أهل بيته » ، ثم يقول اليعقوبى (٣١) أيضا : « وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصيرها لنفسه خالصة ، وأقطعها أهل بيته وخاصته ، وكان أول من كانت له الصوافى فى جميع الدنيا حتى بمكة والمدينة ، فإنه كان فيهما شئ يحمل فى كل سنة من أوساق التمر والحنطة » .

ومنح معاوية الإقطاعات لأهل بيته ، فوزع عليهم الكثير من صوافى الشام مما كان بيده منذ عهد عثمان بن عفان (٣٢)، كما أقطعهم فى أرض الجزيرة (٣٣) اقطاعات (٣٤)، كما منحهم الإقطاعات فى

(٢٠) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، حد ٢ ص ٢٢٢ .

(٢١) اليعقوبى ، نفسه ، حد ٢ ص ٢٢٤ .

(٢٢) ابن عساكر ، المصدر السابق ، حد ١ ص ١٨٤ .

(٢٣) الجزيرة : اصطلاح يطلق على الأراضى الممتدة بين نهري دجلة والفرات وفيها ديار مضر ، وديار بكر ، وأرض الجزيرة اليوم يقع قسم منها فى سوريا ، وقسم فى العراق ، وقسم فى تركيا . انظر . البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٧٠٦ ، ياقوت ، المصدر السابق ، حد ٢ ص ١٣٤ .

(٢٤) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .

مصر، ويروى ابن عبد الحكم (٣٥) أن معاوية منح ابنه يزيد قرية بكاملها من قرى الفيوم ، فلما استعظم الناس هذا الأمر وتحذثوا فيه ، استعادها منه وردها إلى ما كانت عليه ، كما أقطع معاوية لمروان بن الحكم قرية فذك (٣٦) من أعمال المدينة مخالفاً بذلك سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ، واعتبرها من الصوافى (٣٧).

(٣٥) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٣٦) فذك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، ح ٤ ص ٢٢٨ .

(٣٧) كان أهل فذك قد صالحوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نصف أرضهم ، فكانت بذلك ملكاً خالصاً له ، فأوقفها على أبناء السبيل ، فلما أجلى عمر بن الخطاب اليهود عن الجزيرة العربية أعطى يهود فذك قيمة نصف أرضهم ونخلهم ، ولما طلبتها السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) رفض أبو بكر أن يعطيها أياها ، وأبقاها على سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبناء السبيل . وسار عمر وعثمان وعلى فيها بمثل ذلك ، فلما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة اعتبرها من أرض الصوافى ، وأقطعها لمروان بن الحكم فورثها أبناؤه من بعده ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ردها إلى ماكانت عليه فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ، ولما تولى المأمون الخلافة أمر بإعطائها لورثة فاطمة الزهراء ، فلما تولى المتوكل استعادها منهم ، وردها إلى ماكانت عليه فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين . انظر ، البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٢-٢٨ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ٢١٤-٢١٥ ، ياقوت ، المصدر السابق ، ح ٤ ص ٢٢٨-٢٤٠ .

وسار خلفاء بنى أمية بعد معاوية على سياسته ، فاقطع الخليفة يزيد بن معاوية (٦١-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٣م) أرضا بوادى القرى (٣٨) لعبد الملك بن مروان (٣٩) وأقطع الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) ما تبقى من أرض الصوافى فى بلاد الشام لأهله حتى لم يبق منها شيء (٤٠) وأقطع الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) أخاه سعيد بن عبد الملك أرضاً بجزيرة العراق (٤١)، وكان لهشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافة دورين (٤٢)

(٣٨) وادى القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كثير القرى فتحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنة (٧ هـ) غنوة ولما أجلى عمر اليهود أجلى أهله وقسم أرضه بين من فتحه . انظر . ياقوت . المصدر السابق . حـ ص ٢٤٥ .

(٣٩) البلاذرى . المصدر السابق . ص ٤٠ .

(٤٠) ابن عساكر . المصدر السابق . حـ ١ ص ١٨٤ .

(٤١) البلاذرى . المصدر السابق . ص ٢١٢ . ياقوت . المصدر السابق . حـ ص ٢٢١ .

(٤٢) دورين : لم أجد لدى ياقوت موضعا بهذا الاسم ولكنه يذكر عدة أماكن باسم « دوران » . أولهما : موضع بين قديد والجحفة بالحجاز . والثانى : موضع خلف جسر الكوفة . والثالث : من قرى قم الصلح من نواحي واسط ومن المرجح أن دورين أحد الموضعين الثانى والثالث . انظر . ياقوت . المصدر السابق . حـ ٢ ص ٤٨٠-٤٨١ .

وقراها إقطاعاً، كما منحت له بنهر الرومان (٤٣) إقطاعات واسعة (٤٤).

وقام الولاة من بنى أمية بمنح الإقطاعات فى الولايات التى يلونها؛ فكان عبد العزيز بن مروان (٦٥-٨٤هـ/٦٨٤-٧٠٣م) (٤٥) أثناء ولايته على مصر يمنح الإقطاعات لأهله، فمنح أخاه عمر بن مروان قطيعة بمصر فابتنى بها قصراً، ومنح ابنه الأصبغ بن عبد العزيز أيضاً القطنع (٤٦).

(٤٣) نهر الرومان ناحية من نواحي العراق يقال لها رستاق الرومان وينسب إليها فروخ أبو المثنى الرمانى الذى تقبل ضياع هشام بن عبد الملك بها . انظر الطبرى ، المصدر السابق ، ص ٧٤٢ .

(٤٤) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة الحلبي القاهرة ، ص ٦٠-٦١ .

(٤٥) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، كان ولى العهد الثانى بعد عبد الملك لأبيه مروان بن الحكم تولى ولاية مصر فى عهد أبيه ثم فى عهد أخيه عبد الملك (٦٥-٨٥هـ/٦٨٥-٧٠٥م) وأهتم بشئون مصر واستقرار الأمور بها، وتوفى وهو وال عليها قبل أن يلى الخلافة ، انظر ، الكندى ، الولاة والقضاة ، تصحيح رفق كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ، ١٩٠٨ م ، ص ٤٨-٥٥ . أبو المحاسن ، النجوم الزهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ح ١ ص ١٧١-١٧٤ ، المقرئى ، المصدر السابق ، ح ١ ص ٢٠٩-٢١٠ .

(٤٦) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

وكانت القاعدة الفقهية تنص على أن الإقطاع من أرض الصوافى العامة يعد إقطاع استغلال فقط، وللدولة الحق في استرجاعه ، ولا يجوز لمن أقطع إليه التصرف فيه بالبيع أو التوريث ، وليس له إلا حق استغلاله مقابل دفع مايفرض عليه من إجاره ، ويقول الماوردى (٤٧) عن أرض الصوافى : « فهذا النوع من العامر لايجوز إقطاع رقبته لأنه صار باصطفائه لبيت المال ملكا لكافة المسلمين فجرى على رقبته حكم الوقوف المؤبدة وصار استغلاله هو المال الموضوع فى حقوقه » ولم يعمل الأمويون بهذه القاعدة فاستولوا على كثير من أرض الصوافى - كما ذكرنا - وامتلكوها ملكية كاملة ، وورثوها لأولادهم . ويبدو أن الأمويين قد استفادوا مما حدث للسجلات أثناء فتنة ابن الأشعث(٤٨)، فقد ذكرت المصادر أن

(٤٧) الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٤٨) عندما أمتنع ملك كابل عن دفع الجزية ، أعد الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق جيشاً عظيماً، وأحسن استعداده حتى سمى بجيش الطواويس، وجعل عبد الرحمن بن الأشعث قائداً عليه وأرسله لمحاربة ملك كابل فى سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) ولكن ابن الأشعث تباطل فى الهجوم على عدوه، مما أدى لسوء العلاقات بينه وبين الحجاج ، وأمتنع ابن الأشعث عن الحرب وعاد بجيشه إلى العراق وأعلن الثورة على الحجاج ، ورفض الصلح الذى عرضه الخليفة عبد الملك بن مروان عليه ، واشتبك مع الحجاج فى معركة سميت بمعركة دير الجماجم فى سنة (٨٢هـ/٧٠١م) وأنتهت هذه المعركة بهزيمة ابن الأشعث وفراره وقتله فيما بعد، وقبض على أهله وصودرت أموالهم.

الإقطعات من أرض الصوافى فى العراق التى كانت أقطعت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان كانت مسجلة بالدواوين حتى أحتترقت هذه الدواوين أثناء فتنة ابن الأشعث فى سنة (٨٢هـ / ٧٠١م) فذهب أصل السجلات ودرس ، واستولى كل قوم على ما بيدهم منها (٤٩).

وكان الخليفة عمر بن العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) يدرك عدم شرعية امتلاك القطائع من أرض الصوافى امتلاكاً تاماً فحضر الأمويين على ردها وسماها المظالم ، ورد القطائع التى كان قد ورثها عن أبائه للدولة وقد عبر عن ذلك بقوله «إن أهلى قد أقطعوني مالم يكن لى أن آخذه ، ولا لهم أن يعطوني» (٥٠) ، وكانت فذك من القطائع التى آلت إليه بالوراثة ، إذ بعد أن استصفاه

انظر، ابن قتيبة ، الأمانة والسياسة ، تحقيق طه الزينى ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، حد ٢٦-٤٤ ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، حد ٦٦-٢٨٢ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، حد ٧٤-٧٧ ، ٨٢ .

(٤٩) أبو يوسف، المصدر السابق، ص ٥٧ ، البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، الماوردى ، المصدر السابق ١٩٢ ، المقرئى ، المصدر السابق ، حد ٩٦ .

(٥٠) ابن الأثير ، المصدر السابق ، حد ٤٤ ص ١٦٤ ، وعن سياسة عمر تجاه أرض الصوافى وموقفه منها. انظر ، فلهوزن، المرجع السابق . ص ٢٨٠-٢٨١ ، ضياء الدين الرئيس ، المرجع السابق ، ص ٢٢٢-٢٢٣ .

معاوية بن أبي سفيان منحها إقطاعاً لمروان بن الحكم ، وأورثها مروان لولديه عبد الملك وعبد العزيز ، فصارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابني عبد الملك ، فلما تولى الوليد الخلافة سأله عمر حصته في فذك فوهبها له ثم سأل سليمان حصته فيها فوهبها له أيضاً ، فاستجمعها عمر بن عبد العزيز ، وكانت من أحب الإقطاعات إليه ، ولكنه بعد أن تولى الخلافة ردها إلى ما كانت عليه في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين (٥١).

وقد فزع الأمويون من موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز وسياسته تجاه الإقطاعات ، لما يسببه ذلك من ضياع الكثير من ممتلكاتهم ، فارسلوا إليه عمته فاطمة بنت عبد الملك ، التي حاولت إقناعه بالتراجع عن موقفه ، وأخبرته بغضب الأسرة الأموية من سياسته ، ولكنه أصر على رأيه في الإقطاعات من أرض الصوافي (٥٢).

(٥١) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٥٢) تقول المصادر لما أتته عمته قالت له «تكلم ياأمير المؤمنين فقال: ان الله بعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) رحمة ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة ، ثم أختار له ما عنده وترك للناس نهراً شربوا سوا ثم ولى أبو بكر فترك النهر على حاله ثم ولى عمر فعمل عملهما ، ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه ، والوليد وسليمان أبنا عبد الملك حتى أفضى الأمر إلى وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ماكان عليه ، فقالت حسبك قد أردت كلامك ، فلذا كانت مقاتلك هذه فلا أذكر

ولما توفي عمر بن عبد العزيز عاد الأمويون مرة أخرى لحيازة الإقطاعات ومنحها لأولادهم منذ ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) ، وفي ذلك يقول ابن الأثير (٥٣): «وعمد يزيد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فردّه» ومما يؤيد ذلك ما طلبه يزيد من عمر بن هبيرة الفزاري (٥٤) واليه على العراق وخرسان (١٠٣-١٠٥هـ/

شينا. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه ، وقد قيل أنها قالت له : ان بنى أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له : أنهم يحذرونك يوما من أيامهم، فغضب وقال كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره ، فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم ، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا». انظر، الأصفهاني، الأغاني، تحقيق عبد الستار فرج ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٢م ، ح ٩ ص ٢٤٧-٢٤٨ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ح ٤ ص ١٦٤.

(٥٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ح ٤ ص ١٦٦.

(٥٤) عمر بن هبيرة الفزاري ، كان من رجال الحجاج بن يوسف فغضب عليه فلجأ لجوار عبد الملك بن مروان ، ثم تولى جزيرة العراق لعمر بن عبد العزيز ، ثم تولى العراق وخرسان ليزيد بن عبد الملك بعد أن عزل أخيه مسلمة ابن عبد الملك عنها في سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) وظل واليا عليها حتى مات يزيد وتولى هشام بن عبد الملك فعزله في سنة (١٠٥هـ/٧٢٣م) وولى خالد بن عبد الله القسري بدلا منه ، انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، ح ٤ ص ١٨١-١٩٢.

٧٢٠-٧٢٣م) بأن يتخذ له قطائع فى أرض العرب فى جهة البصرة فجعل عمر بن هبيرة يأتى القطيعة ، فيسأل عنها فيمسحها ويجوز فضولها ليزيد حتى ضج الناس من ذلك (٥٥) ، ومنح الخليفة هشام ابن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) إقطاعا كبيرا لأبنته عائشة برأس كيفا (٥٦) ، يعرف بها (٥٧) ، كما منح أبناءه الإقطاعات من الأرض الى استصفاه حسان النبلى (٥٨) على حد نهر الفيض (٥٩). ولم تشر المصادر التى بين أيدينا إلى استيلاء الأمويين بعد عهد هشام بن عبد الملك على إقطاعات من أرض الصوافى، ومن المرجح أن ذلك يرجع إلى عدم وجود شاغر منها يمكن الاستيلاء عليه.

(٥٥) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٠.

(٥٦) رأس كيفا : من ديار مضر بجزيرة العراق ، قرب حران انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، ص ١٤-١٥.

(٥٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٢١٤، ياقوت ، المصدر السابق ، ص ١٤-١٥.

(٥٨) حسان النبلى ، كاتب الحجاج ، وهو مولى بنى ضبه ، وصاحب حوض حسان بالبصرة والذي تنسب إليه قناة حسان بالبطائح وقرية حسان بواسط ، كان له دراية كبيرة فى اصلاح الأرض الزراعية. انظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص ٢٥٩ ، قدامة بن جعفر ، نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ليدن ، بريل ، ١٨٨٩ ، ص ٢٤٠.

(٥٩) البلاذرى ، المصدر السابق، ص ٤٥٣ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ص ٢٣٤ . ونهر الفيض : نهر بالبصرة قديم واسع عليه قرى ومزارع . انظر ، ياقوت ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢.

استصلاح الأراضي :

وكان إحياء الأرض الموات وزراعتها يعطى من يفعل ذلك حق الملكية التامة للأرض التي أحيائها (٦٠) ، وقد عمل الأمويون على اقتناء الضياع بهذه الوسيلة ، مما عاد عليهم بالفائدة العظيمة ، وعلى الأرض الزراعية بالخير ، فاتسعت رقعتها وزادت ، ونما العمران حولها .

ويعرف أبو يوسف (٦١) الأرض الموات بقوله : أنها الأرض التي ليس فيها « أثر بناء ولا زرع ، ولم تكن فينا لأهل القرية ، ولا مسرحاً ، ولا موضع مقبرة ، ولا موضع محتطبهم ، ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهم وليست بملك لأحد ولا فى يد أحد فهى موات » ، واختلف فيما إذا كان الأحياء يجب أن يؤخذ فيه أذن الخليفة أم لا ، ويرى أبو يوسف (٦٢) أن إحياء الأرض غير مشروط بالأذن ، ولكن لحسم الخصومات يجب الأذن فى الأرض الموات القريبة من العامر ، أما البعيدة فالأذن فيها غير واجب .

وكانت الأرض الموات إما أرضاً مغمورة بمياه المستنقعات فتستصلح بتجفيفها ، أو أرضاً جافة بعيدة عن المياه ، فتستصلح

(٦٠) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٦٢-٦٤ ، الماوردى ، المصدر

السابق ، ص ١٧٧ ، يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص ٨٤-٨٧ .

(٦١) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٦٢) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

بتوصيل ماء الرى إليها، وقد وجد الأمويون فى منطقة البطانح (٦٣) بالعراق مجالا واسعا لتحقيق هدفهم فى تملك الضياع وذلك بتجفيف مساحات شاسعة من أرضها واستصلاحها وزراعتها ، وكانت الأرض المستخرجة من البطانح ، تسمى «الجوامد» (٦٤)، وقد عرف رجال الإدارة الأموية فى العراق هذه الرغبة لدى الأمويين فتسابقوا لتحقيقها، فقام عبد الله بن دراج مولى معاوية أثناء ولايته خراج

(٦٣) البطانح : مفردا بطيحة، وتبطح السيل ، أى اتسع فى الأرض، والبطانح أرض بالعراق بين واسط والبصرة ، وسميت بالبطانح لأن المياه تبطحت بها ، وحدثت فى الأصل فى العهد الفارسى فى عهد «قباد بن فيروز» فقد انفجر بثق عظيم فى أسافل كسكر ، فأغفل حتى غلب ماؤه وأغرق أراضى واسعة، فلما ولى « أتوشروان» أمر فردم بالمسنيات حتى عادت بعض تلك الأرض عامرة ، وفى سنة (٦ أو ٧هـ) زاد الفرات ودجلة زيادة لم ير مثلها، وأنبثقت البثوق العظام ، وجهد «أبرويز» فى سد هذه البثوق ، فلم يقدر للماء على حيلة ، ثم غزى المسلمون العراق ، وأنشغل الفرس بالحرب ، فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت إليها ، فاتسعت البطيحة وعظمت حتى قدرت مساحتها بثلاثين فرسخا فى ثلاثين ، وقدرت بخمسين ميلا عرضا فى مائتين طولاً. انظر البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨-٣٥٩ ، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص ٢٤٠-٢٤١ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٧٧-١٧٩ ، ياقوت، المصدر السابق ، ص ١٤٠-١٤١ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، ص ٤٤٦.

(٦٤) قدامه بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، الماوردى ، المصدر السابق ، ص ١٧٩.

العراق (٦٥) باستخراج الأرض من البطائح لمعاوية، مما بلغت غلته خمسة آلاف ألف درهم (٦٦).

وتجلى اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان باستخراج الأرض من البطائح فيما قام به الحجاج بن يوسف الثقفي (٦٧) أثناء ولايته

(٦٥) تولى عبد الله بن دراج خراج العراق في أثناء ولاية المغيرة بن شعبة لها (٤٢-٥٠هـ/٦٦٢-٦٧٠م) بعد أن عزل معاوية المغيرة عن خراج الكوفة، انظر، البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٥٨، ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٦٦) البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٥٨، قدامة ابن جعفر، المصدر السابق، ص ٢٤٠، الماوردي، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٦٧) انحدر الحجاج بن يوسف الثقفي من أسرة بسيطة وعمل معلما للصبيان في بداية أمره بثقيف وأشتهر بفصاحته وشده، ولاء عبد الملك بن مروان الحجاز واليمامة واليمن (٧٣-٧٥هـ/٦٩٢-٦٩٤م) بعد انتصاره على عبد الله بن الزبير والقضاء على حركته بالحجاز في سنة (٧٣هـ/٦٩٢م)، ثم ولاء عبد الملك ولاية العراق في سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) وظل في ولايته عليها حتى آخر عهد الوليد وتوفي بها سنة (٩٥هـ/٧١٢م) وعامل أهل العراق بالشدة حتى أستتب الأمر به، وكان الساعد الأيمن للخليفة عبد الملك بن مروان ومن بعده لابنه، الوليد في القضاء على كثير من الفتن في الدولة. انظر، الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١ ص ٢٠٦، ٢١٢، ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١-٢٥، ٣٣، ٨٠-٨٤، ١٣٢، ابن كثير، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٢١-١٥٦.

على العراق (٧٥-٩٥هـ/٦٩٤-٧١٣م) فعمد الحجاج للضياع التي كان عبد الله بن دراج قد استخرجها لمعاوية فأعاد استصلاحها وحازها للخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨)، وعمل الحجاج على الاكثار من الأيدي العاملة اللازمة لاستصلاح أرض البطائح فاحضر قوما من زط السند (٦٩) ومعهم أهلهم وأولادهم ، وأسكنهم أسافل كسكر (٧٠) ،

(٦٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٦٩) الزط جيل أسود من السند تنسب إليهم الثياب الزطية ، وقيل الزط أعراب جت بالهندية ، وهم جيل من أهل الهند وظل هؤلاء الزط يتكاثرون بالبصرة في ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة، فخرجوا على الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون في سنة (٢١٩هـ/٨٢٤م) فاستولوا علي البصرة ونواحيها ومنعوا وصول المؤن لبغداد ، وحاربتهم جيوش الخلافة ولكنها لم تستطع التغلب عليهم إلا في عهد المعتصم في سنة (٢٢٠هـ/٨٢٥م) وحملوا أسرى إلى بغداد ، فنفاهم المعتصم إلى آسيا الصغرى ، وتعرضوا لعدوان البيزنطيين وأسروهم لهم في سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) ومن ثم وجدوا طريقهم للانتقال إلى أوروبا وعرفوا هناك باسم Gypies ، انظر البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٤٦١-٤٦٣ ، اليعقوبي ، ص ٢٤٢ ، المسعودي ، التنبيه والأشرف ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٢٢ ، ابن منصور ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ وانظر

Muir, The caliphate its decline and fall, Edinburgh, 1924, P. 554.

(٧٠) كسكر : من كور العراق الواسعة ، قصبتها واسط التي تقع بين الكوفة والبصرة ، وهي مشهورة بالزراعة وكثرة الخراج وتربية الطيور. انظر ، ياقوت ، المصدر السابق، ص ٤٦١. القزويني ، المصدر السابق ، ص ٤٤٦.

وغلّبوا على البطيحة وتناسلوا بها وكانوا عماد استصلاح أرضها (٧١) كما منع الحجاج ذبح البقر حتى يكثّر لينتفع به فى أعمال الزراعة (٧٢).

ولما انبثقت البثوق من المياه وغمرت الأرض فى منطقة البطائح فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، طلب الحجاج من الخليفة ثلاثة آلاف درهم لسد تلك البثوق فاستكثرها الخليفة ، فطلب مسلمة ابن عبد الملك (٧٣) من أخيه أن يقوم هو بانفاق هذا المبلغ على يد الحجاج بن يوسف على أن يقطعه الخليفة الوليد الأرض المنخفضة التى تتبقى بعد سد البثوق ، فحصل مسلمة على أراضى واسعة امتلكها وعمرها بالزروع (٧٤).

وقام حسان النبطي كاتب الحجاج بدور كبير فى استصلاح أراضى

(٧١) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٦٢ .

(٧٢) ابن خرداذبة ، المسالك الممالك ، ليدن ، بريل ١٨٨٩ ، ص ١٥ .

(٧٣) مسلمة بن عبد الملك كان قائداً حربياً فذا قضى معظم حياته فى القضاء على الفتن والثورات التى قامت ضد الأمويين فى الداخل، أما فى الخارج فكان له اليد الطولى فى قيادة الحملات ضد الروم وأشهر حملاته كانت حملته على القسطنطينية فى عهد سليمان بن عبد الملك فى سنة (٧١٦هـ/٧١٦م) وتوفى فى سنة (١٢١هـ/٧٢٨م) . انظر ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص ٩٦ . ابن كثير ، المصدر السابق ، ح ٢٦٩-٢٧٠ .

(٧٤) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ، قدامة بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

البطيحة، فاستخرج أرضا للخليفة الوليد ومن بعده لأخيه الخليفة هشام بن عبد الملك (٧٥) .

واهتم الأمويون كذلك باستصلاح الأرض البور التي لاتصلها مياه الرى، واستلزم ذلك منهم عناية بمشروعات الرى فاصبح من سياستهم حفر الأنهار والآبار والعيون، وتطهير وإعادة حفر القديم منها، وإقامة القناطر والسدود، وبناء الصهاريج ل تخزين مياه الأنهار، مما أدى إلى تعمير الأرض الزراعية (٧٦) . وساعد على تملك الأمويين للضياع، ومن أمثلة ذلك ما قام به هشام بن عبد الملك من حفر نهري الهنئ والمرى اللذين أخذوا مياههما من نهر الفرات وأقام عليهما ضيعته المشهورة التي أخذت اسمها من النهرين فعرفت بضيعة الهنئ والمرى (٧٧) .

ولم يكن الاهتمام بمشروعات الرى يلتقى اهتماما من الخلفاء فقط بل شارك فيه الأمراء الأمويون، فكان لسعيد بن عبد الملك قطيعة فى غيضة من الأرض تنتشر فيها السباع فى نواحي جزيرة العراق

(٧٥) البلاذرى، المصدر السابق ، ص٢٥٩، الماوردى، المصدر السابق،

ص١٧٩.

(٧٦) عن اهتمام الأمويين بمشروعات الرى فى الدولة عامة فى عهدهم.

انظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص٤٢٩، ابن رسته الأعلام النفيسة، ليدن، بريل، ١٨٩١، ص٩٤، الطبرى، المصدر السابق، ج٦ ص٤٦٧، ياقوت المصدر السابق، ج٢ ص٤٨، ٦٩، ج٤ ص٤٧٠، ابن عساكر، المصدر السابق، ج١ ص١٤٠.

(٧٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص٢١٢، الزبيرى، المصدر السابق،

ص١٦٤.

فحفر بها النهر المعروف باسمه، وهو نهر سعيد، فوصلها الماء وعمرت (٧٨) ولما تولى سليمان بن عبد الملك فلسطين من قبل الوليد ابن عبد الملك وجه اهتمامه لمشروعات الري بها فحفر لأهل مدينة الرملة (٧٩) قناتهم التي تدعى بردة، وأحتفر لهم آبارا وامتلك بذلك أرضا عظيمة بها (٨٠)، وكان لمسلمة بن عبد الملك نشاط كبير في هذ المجال، فعندما منحه الوليد بن عبد الملك الأرض المنخفضة التي تبقت بعد أن أنفق مسلمة على سد البثوق بالبطائح حفر إليها نهرى السيين، فعمر تلك الأراضى وامتلكها (٨١) وأصبحت تعرف بضبعة السيين (٨٢)، كما حفر نهر مسلمة لأهل بالس (٨٣) والقري

(٧٨) البلاذرى، نفسه، ص ٢١٣، الزبيرى، المصدر السابق، ص ١٦٥،
ياقوت، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢١.

(٧٩) الرملة: كورة فى فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوماً، بناها سليمان بن عبد الملك حين تولى فلسطين فى خلافة الوليد بن عبد الملك. انظر، ياقوت، المصدر السابق ج ٢ ص ٦٩.

(٨٠) البلاذرى، المصدر السابق، ص ١٧٠، ياقوت المصدر السابق، ج ٢ ص ٩٦.

(٨١) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٣٦٠، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص ٢٤١.

(٨٢) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ٨٠، ١١٠.

(٨٣) بالس: قرية بالشام بين حلب والرقّة، تبعد عن نهر الفرات أربعة أميال، انظر، ياقوت، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٢٨، القزوينى، المصدر السابق، ص ٣٠٦.

المحيطة بها، وامتلك بذلك الأرض هناك (٨٤) ، وأقام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (٨٥) أثناء ولايته على أرمينيا وأذربيجان (١١٤ - ١٣٦ هـ / ٧٣٢ - ٧٤٣ م) قنطرة بورثان (٨٦) ، فأحيا أرضها وصارت ورثان ضيعة له (٨٧) .

وساهم الولاة أيضا بنصيب كبير في انجاز مشروعات الري، فساعدوا بذلك على حيازة الأمويين للكثير من الضياع التي استصلحت أرضها، فقام الحجاج بن يوسف بحفر كثير من الأنهار في العراق فأكمل حفر نهر سعد (٨٨) وحفر نهر الصين بناحية كسكر ،

(٨٤) البلاذري ، المصدر السابق، ص ١٧٨، ياقوت، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٨.

(٨٥) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم كان قائدا عسكريا فذا حارب الروم والترك والخزر وتولى أرمينيا وأذربيجان في عهد هشام بن عبد الملك، وكان من الشخصيات العظيمة لبنى أمية لولا تدهور أمور الخلافة التي بويح بها في سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤ م) وتضافر العوامل الداخلية والخارجية على ذلك في عهده لكان له شأن وانتهى الأمر بقتله على أيدي العباسيين وبذلك سقطت الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م). انظر ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٦-٤٨.

(٨٦) ورثان: بلد في آخر حدود أذربيجان بينه وبين وادي الرس فرسخان، ابن خردادبة، المصدر السابق، ص ١٢٢، انظر، ياقوت المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٨٧) البلاذري ، المصدر السابق، ص ٤٠٤، ياقوت، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧١-٣٧٠.

(٨٨) البلاذري ، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

كما حفر نهري النيل والزابي وأحيا الأرض الواقعة بين هذين النهرين، واتخذ الضياع لعبد الملك بن مروان (٨٩) ، وقام خالد بن عبد الله القسري والى العراق (١٠٥-١٢٠هـ/٧٢٣-٧٢٧م) (٩٠) بحفر العديد من الأنهار فى سواد العراق (٩١)، فحفر نهر خالد، وباجرى، وتارمانا، والمبارك والجامع، وسابور، والصلح (٩٢) ،

(٨٩) البلاذرى ، نفسه، ص ٣٥٥.

(٩٠) ينتسب خالد بن عبد الله القسري إلى قبيلة بجيلة التى ساهمت فى فتح سواد العراق وأعطاهما الخليفة عمر بن الخطاب ثلث السواد ولكنه عاد واسترد ما أعطاه لهذه القبيلة وعوضها بدلا منه بالأموال، وتولى العراق لهشام ابن عبد الملك ولكنه غضب عليه وصادره، وقام والى العراق بعده يوسف بن عمر الثقفى بتعذيبه واستخراج الأموال منه. انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٢٥-٢٢٨.

(٩١) سواد العراق يمتد طوله من حديثه الموصل إلى عبادان، وعرضه يمتد بين العذيب بالقادسية إلى حلوان، وقام العرب بفتح سواد العراق فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وسموه بالسواد لامتلائه بالزروع والنخيل والأشجار حيث تاخم جزيرة العرب التى لا زرع فيها ولا شجر، والعرب يسمون الأخضر أسود، والأمود أخضر، وعندما أتم العرب فتح السودان رفض عمر تقسيمه بين الفاتحين وتركه فى أيدي أهله، وفرض عليه الخراج حتى يكون مادة لمن يأتى من المسلمين فيما بعد ووقفا يصرف منه على مصالح الدولة. انظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص ٢٩٦-٢٩٢، ابن خردادبة، المصدر السابق، ص ١٤، ابن رسته، المصدر السابق، ص ١٠٤-١٠٥، ياقوت المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٧٢-٢٧٥، الماوردى، المصدر السابق، ص ١٧٢-١٧٦، بن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢١٠-٢١١.

(٩٢) الطبرى، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٥١-١٥٢، ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٢٦.

وسكر دجلة، أى أقام عليه السدود لمنع مياهه من الفيضان، وكان يفخر بأن أحدا قبله لم يفعل ذلك (٩٣)، كما أقام قنطرة الكوفة، واستأذن الخليفة هشام بن عبد الله فى عمل قنطرة على دجلة وأعظم النفقة عليها؛ فلم تلبث أن قطعها الماء، فاغرمه هشام ما أنفق (٩٤). ونتج عن قيام خالد بن عبد الله القسرى بحفر هذه المجموعة الكبيرة من الأنهار استصلاح أراضى وضياع شاسعة على ضفافها حازها لنفسه، وآلت هذه الأراضى إلى الخليفة هشام بن عبد الملك عندما عزله وصادر أمواله فاصبحت من الضياع الأموية (٩٥).

شراء الأرض :

كان شراء الأرض الزراعية أيضا من الوسائل التى لجأ إليها الأمويون لتملك الضياع، وامتلك الخليفة معاوية بن أبى سفيان بهذه الوسيلة ضياعا عديدة، ولكى يحقق معاوية الغرض الأساسى من تملك الضياع - وهو تنمية موارده المالية - حرص على شراء الأرض الزراعية الجيدة، وكان من الطبيعى أن يوجه عنايته إلى شراء الأرض بأقليم الشام؛ فهى مركز حكمه ودار خلافته، وهو يعرف أرضها جيدا فأرضها تعد من أخصب الأراضى وأجودها (٩٦) وكانت معرفة

-
- (٩٣) الطبرى، المصدر السابق، ج٧ ص١٤٣، ابن رسته، المصدر السابق، ص٩٥-٩٦، ضياء الدين الرئيس، المرجع السابق، ص٢٥٦.
(٩٤) البلاذرى، المصدر السابق، ص٣٥١.
(٩٥) الطبرى، المصدر السابق، ج٧، ص١٤٧-١٥٧.
(٩٦) عن خصوبة أراضى الشام، أنظر، البلاذرى، المصدر السابق، ص١٦٢، ابن حوقل، المصدر السابق، ص١٥٨-١٦٠، ياقوت، المصدر السابق، ج٢ ص٣١١-٣١٤، القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الأنشا، القاهرة، ١٩٦٢، ج٤ ص٨٢-٨٦، ٩٠-٩١، ٩٨-٩٩.

الأمويين لجودة أرض الشام ورغبتهم في شرائها ترجع إلى الجاهلية حيث ورث معاوية بها ضيعة تسمى بقبش عن أبيه أبي سفيان بن حرب بن أمية الذي اشتراها أثناء ذهابه للشام للتجارة (٩٧) - ويروى الجهشيارى (٩٨) أن معاوية بن أبي سفيان أثناء خلافته كتب إلى عامله على خراج فلسطين يطلب منه أن يشتري له الضياع فقال له: «اتخذ لى ضياعا ولا تكن بالداروم» (٩٩) المجداب، ولا بقيسارية (١٠٠) المغراق، واتخذها بمجارى السحاب، فاتخذ له البطنان (١٠١) من كورة عسقلان» (١٠٢).

وعمل معاوية بن أبي سفيان أيضا على شراء الضياع فى أرض الحجاز، وبالف فى دفع أثمانها، ولعله هدف من وراء ذلك السيطرة

(٩٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص ١٥٢، وكانت بقبش تقع فى البلقاء بالشام.

(٩٨) الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٩٩) الداروم، يقال لها الدارون أيضا: وهي قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، بينها وبين البحر مقدار فرسخ، انظر، ياقوت المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٢٤.

(١٠٠) قيسارية: بلد على ساحل الشام، من أعمال فلسطين، وكانت من أمهات المدن، انظر، ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٢١.

(١٠١) البطنان: بطنان الأودية هي المواضع التى يستريح فيها ماء السيل فيكرم نباتها، والبطنان اسم واد بين منبج وحلب، فيه أنهار جارية، وقرى متصلة. انظر، ياقوت المصدر السابق، ج ١ ص ٤٤٧-٤٤٨.

(١٠٢) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر، ويقال لها عروس الشام، انظر، ياقوت، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٢٢.

على اقتصاديات هذا الأقليم الذى كان يعد من أهم مراكز المعارضة لحكم معاوية، فاشترى أرضاً بوادى القرى من أعمال المدينة (١٠٣)، واشترى فى تيماء (١٠٤) ضيعة كانت لسعية بن غريض (١٠٥) ودفع فيها ستين ألف دينار (١٠٦) وفى المدينة اشترى من عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (١٠٧) أرضاً بها مجموعة من العيون كثيرة النخل غزيرة الماء تعرف بالبغيغات (١٠٨)، واشترى من عبد الله بن جعفر

(١٠٣) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٤٠.

(١٠٤) تيماء: بلدة على طريق الحاج الشامى ووادى القرى، صالح أهلها من اليهود الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الجزية فى سنة (٩هـ) وأقاموا بأرضهم حتى أجلاهم عمر بن الخطاب عنها عندما أجلى اليهود عن الجزيرة العربية، انظر، ياقوت، المصدر السابق، ج ٢ ص ٦٧.

(١٠٥) سعية بن غريض: من شعراء العصر الأموى كان فى الأصل يهودياً، وكان معاوية بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان يعجبان بشعره، ويتمثلان به، انظر، الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٤ - ١١٧.

(١٠٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٤.

(١٠٧) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب. ولد بأرض الحبشة أثناء هجرة المسلمين إليها، وكلفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد استشهاد أبيه فى غزوة مؤتة، واشتهر عبد الله بالجود والسخاء العظيم، وكان صديقاً لمعاوية بن أبى سفيان الذى أوصى به ابنه يزيد، انظر، الزبيرى، المصدر السابق، ص ٨٠-٨١، ٣٠٤، ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٨، ٦٨، الجاحظ، البخلاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٢ ص ١٥٠، ابن كثير، المصدر السابق، ج ٩ ص ٢٦-٢٧.

(١٠٨) البغيغات: عدد من العيون، احتفرها على بن أبى طالب ينبع،

أيضا أرضا زراعية بالمدينة تعرف بالغابة، ودفع له فيها مليوني درهم (١٠٩)، واشترى العرصة وهي أرض مملوءة بالنخيل والآبار، ودفع فيها ثلاثة ملايين من الدراهم (١١٠)، واشترى كذلك ثنية الشريد، وكانت أعنابا ونخلا لم ير مثلهما (١١١). وهكذا اتسعت ممتلكات معاوية بن أبي سفيان في المدينة ونواحيها اتساعا كبيرا

وتصدق بها . ثم أعطاهما الحسين بن علي لعبد الله بن جعفر ليستعين بها على نفقاته على ألا يزوج ابنته ليزيد بن معاوية. فباع عبد الله تلك العيون لمعاوية. وتعرف تلك العيون اليوم بينبع، انظر، ابن شبه، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهم شلتوت، دار الأصفهاني، جدة، ١٩٧٩م. ص ٢٢٢-٢٢٣، السهمودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤ ص ١١٥-١١٥١.

(١٠٩) الغابة: مكان مملوء بالزرع في سافلة المدينة على بعد ثمانية أميال منها، انظر، السهمودي، المصدر السابق، ج٤ ص ١٧٢٦.

(١١٠) العرصة : عرستان الكبرى والصغرى، والعرصة الصغرى تعرف بعرصة الماء، وهي مكان مملوء بالنخيل والآبار، وابتنى بها عمرو بن سعيد ابن العاص قصرا رائع الجمال فعرفت بعرصة سعيد، انظر، السهمودي، المصدر السابق، ص ١٠٥٤-١٠٥٧.

(١١١) ثنية الشريد، مزارع بها منازل وآبار وتنتب ضروبا من الكلاذ ويفضى إليها سيل من وادي العقيق، وهي إلى الشرق من جبل عير، وإلى الغرب من جبل يقال له الفراء بالمدينة، انظر السهمودي، المصدر السابق، ج٢ ص ١٠٦٦-١٠٦٧.

حتى كان يحمل له منها مائة وخمسين ألف وسق (١١٢) من التمر، ومائة ألف وسق من الحنطة (١١٣).

أما في مكة فقد عمل معاوية على شراء كثير من الحوائط (١١٤) الغنية بالمزروعات والنخيل (١١٥)، وكذلك اشترى أرضا زراعية بمصر (١١٦).

وكان ممن عمل على شراء الضياع أيضا عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته لمصر (١١٧)، فعندما أراد أن يعمر حلوان اشترى من الأقباط أرضا ودفع ثمنها لها عشرة آلاف دينار (١١٨)، واشترى ابنه

(١١٢) الوسق: مكيال لأهل المدينة يساوي ٦٠ صاعا أو ٢٢٠ رطلا. انظر أبو عبيد، المصدر السابق، ص ٦٥ - ٤٤٦.

(١١٣) اليعقوبي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٢٤-٢٥٠، السهوي، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٧، ج ٣ ص ٩٨٨.

(١١٤) الحائط: هو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط أي جدار. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٠٥٢.

(١١٥) عن الحوائط التي امتلكها معاوية بمكة. انظر، الأزرقى، تاريخ مكة، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٩٧٨م، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(١١٦) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٧٤ - ٧٥.

(١١٧) عن الأرض الزراعية التي اشتراها عبد العزيز بن مروان، انظر، ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٩٦.

(١١٨) الكندي، المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠، أبو المحاسن، المصدر السابق، ج ١ ص ١٨٥.

الاصبغ قطيعة ابن سندر من ورثته، وعمرها، وعرفت بمنية الأصبغ، وليس في أرض مصر قطيعة أفضل منها(١١٩).

ويبدو أن اقبال الأمويين على توسيع ملكياتهم من الضياع عن طريق الشراء كان سببا في سماح الخليفة عبد الملك بن مروان ومن بعده ابنه الوليد وسليمان للمسلمين بشراء الأرض الخراجية(١٢٠)، مما نشأ عنه تحول هذه الأرض إلى أرض عشرية، ونتج عن ذلك فقدان الدولة جزءا كبيرا من دخلها من ضريبة الخراج، وقد تصدى الخليفة عمر بن عبد العزيز لعلاج هذا الخلل، فأصدر قراره المعروف بوقف تحويل الأرض الخراجية إلى أرض عشرية، واعتبار سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) فاصلا لقانونية شراء الأرض ولم يجعل لهذا القرار أثرا رجعيا، فما سبق شراؤه يبقى على ما هو عليه، وألزم المسلم الذي يشتري الأرض الخراجية بدفع الخراج وليس العشر ولكن هذا القرار ألغى بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز وعاد الأمر إلى ما كان عليه من قبل من شراء الأرض الخراجية(١٢١).

الاجاء :

ومن الوسائل التي ساعدت الأسرة الأموية على اقتناء الضياع نظام الاجاء(١٢٢) ، ويرجع هذا النظام إلى ما قبل الإسلام فقد

(١١٩) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٩٦، المقرئزي، المصدر السابق، ج١ ص٩٦، سيده كاشف، المرجع السابق، ص٤٩ .
(١٢٠) ابن عساكر، المصدر السابق، ج١ ص١٨٤ .
(١٢١) ابن عساكر، نفسه، ج١، ص١٨٥ .
(١٢٢) يقول ابن منظور : لجأت إلى فلان، والتجأت، وتلجأت إذا استندت إليه واعتضدت به ، والجاه : عصمه . انظر، ابن منظور، المصدر

انتشر فى كل من الدولة الفارسية (١٢٣) والدولة البيزنطية (١٢٤) وعاد للظهور فى العهد الأموى نتيجة لزيادة الضرائب المفروضة على

السابق، جده ص ٢٩٩٧. ويقول الخوارزمى: التلجنة أن يلجئ الضعيف ضيعه إلى قوى ليحامي عليها، وجمعها الملاجئ، والتلاجئ، وقد يلجئ القوى الضيعة وقد الجأها صاحبها إليه، انظر، الخوارزمى، المصدر السابق، ص ٤١.

(١٢٣) يثبت انتشار هذا النظام فى الدولة الفارسية ما رواه الجهشيار فى العهد المنسوب إلى «سابور بن أردشير» والذى يوجه فيه النصائح إلى ابنه سابور، ومنها «واعلم أن من أهل الخراج من يلجئ بعض أرضه وضياعه إلى خاصة الملك وبطانته، لأحد أمرين أنت حرى بكرامتهما: إما لامتناع من جور العمال وظلم الولاة، فتلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمال وضعف الملك وإخلاله بما تحت يده، وإما لدفع ما يلزمهم من الحق الكسر له، فهذه خلة يفسد بها أدب الرعية وتنتقص الملك فاحذر ذلك وعاقب الملجنين والملجأ إليهم. انظر، الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٦-٧.

(١٢٤) ظهر هذا النظام فى الدولة البيزنطية فى نهاية القرن الرابع الميلادى عندما حصل أثرياء الملاك من الحكومة على حق عرف باسم (أتوبراجيا - autopragia) أى حق الجباية الذاتية الذى يخول لهم دفع الضرائب إلى خزانة الدولة المباشرة، دون تدخل جباة الضرائب، ومساعد ذلك على لجوء صغار الملاك لحماية هؤلاء الأثرياء من قسوة جباة الضرائب فكتبوا ضياعهم باسمائهم وهو ما عرف بنظام الحماية (Patrocinium) وقاومت الدولة هذا النظام دون جدوى فظل موجودا بأقاليمها وانتهى بفتح المسلمين لها. انظر، بل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ترجمة عبد اللطيف أحمد على، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٣م، ص ١٧٨-١٧٩، السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٤٧-٣٤٨، ٣٦١، انظر كذلك السيد الباز العرينى، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، ١٩٦١م، ص ١٥.

الأرض الزراعية، وتشدد الجبابة وقسوتهم فى معاملة صغار الملاك من أصحاب الضياع يلجأون لطلب الحماية من الأشخاص الأقوياء ذوى النفوذ والسلطان فيسجلون ضياعهم باسمائ هؤلاء الأقوياء فى ديوان الخراج، وبذلك يمتنع الجبابة عن التعرض لهذه الضياع أو جبابة خراجها، إلا من خلال المالك الجديد الذى غالباً لايجزؤ الجبابة على استعمال القسوة والشدة مع مزارعيه، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الكبراء كانوا يدفعون ضرائب أقل مما يدفعه غيرهم، فيستفيدون بفرق الضرائب المفروضة أصلاً على الضياع التى الجنت لهم والضرائب الفعلية التى يدفعونها، وبمرور الزمن كانت تلك الضياع تتحول إلى ملكية هؤلاء الأقوياء، ويتبدل وضع المالك الحقيقى ليصبح مجرد مزارع فيها (١٢٥)، وقد حاز الأمراء الأمويون العديد من الضياع عن طريق الألباء، فالجأ كثير من أصحاب الضياع فى منطقة البصرة بأرض البطائح ضياعهم لمسلمة بن عبد الملك (١٢٦) ويقول قدامة بن جعفر (١٢٧) عن ذلك: «وتألف الأكرة (الفلاحين)

(١٢٥) عن نظام الالباء فى العهد الإسلامى، انظر، الخوارزمى، المصدر السابق، ص ٤١، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص ٢٤١، الأصطخرى، المصدر السابق، ص ٩٦، جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، القاهرة، ١٩٠٢م، ج ٢، ص ١٢٠، السيد البار العرينى، الاقطاع فى الشرق الأوسط، ص ١٢١، ضياء الدين الرئيس، المرجع السابق، ص ٢٦٨ .

Fateh, OP. cit., p738.

(١٢٦) البلاذرى المصدر السابق، ص ٢٦٠، قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص ٢٤١ .

(١٢٧) قدامة بن جعفر، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

والمزارعين وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس أيضا إليه كثيرا من أرضيهم المجاورة لها طلبا للتعزز به».. كما ألجأ أهل بالس والقرى المحيطة بها أرضهم لمسلمة للتعزز به كذلك (١٢٨) ، وألجأ أهل المراغة (١٢٩) ضياعهم إلى مروان بن محمد، وتآلف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز به وعمروها (١٣٠)، وأصبحت هذه الضياع بمرور الوقت ملكا للأمويين توارثها أعقابهم، ومما يثبت ذلك أن العباسيين عندما أقاموا دولتهم وصادروا ضياع الأمويين كانت هذه الضياع ضمن ضياع الأمويين التي صودرت (١٣١).

المصادر :

كانت المصادر أيضا من الوسائل التي نمت عن طريقها ممتلكات الأمويين من الضياع، فكان الأمويون يصادرون أموال وممتلكات الخارجين عليهم (١٣٢)، فصادر الخليفة عبد الملك بنى

(١٢٨) البلاذري، المصدر السابق، ص ١٧٨ .

(١٢٩) المراغة : من بلاد أذربيجان المشهورة ، عسكر بها مروان بن محمد فى احدى غزواته أثناء ولايته على بلاد أرمينيا واذربيجان ، وكانت دواب الجيش تسرح فى مراعيها. انظر، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ١٢٠-١٢١، ياقوت، المصدر السابق، ج ٩٣.

(١٣٠) البلاذري، المصدر السابق، ص ٤٠٤ ، ياقوت، المصدر السابق، ج ٣٩.

(١٣١) قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص ٢٤١، البلاذري، المصدر السابق، ص ١٧٨، ٢٦٠ .

(١٣٢) جرجى زيدان، المرجع السابق، ج ٢ ، ص ١٢٥، انظر،

Fateh, OP. cit., p738.

مروان ضياع آل الزبير بعد فشل ثورة عبد الله بن الزبير وقتله في سنة (١٣٣هـ/٦٩٢م) فاستولى على ماكان لهم من ضياع في الحجاز(١٣٤) ، وفي مصر(١٣٥) ، وصادر الخليفة الوليد بن عبد الملك بنى عمرو بن حزم، فاستصفي أموالهم وقبض ضياعهم(١٣٦). وصادر يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) أملاك أسرة المهلب وقبض ضياع واقطاعات عديدة منهم، وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد أقطع يزيد بن المهلب(١٣٧) أراضى

(١٣٣) خرج عبد الله بن الزبير على الدولة الأموية بعد أن رفض مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة، وبويع ابن الزبير بالخلافة في مكة سنة (١٦٢هـ/٦٨١م) ودخلت مصر والعراق بالإضافة للحجاز واليمن في سلطانه، وقوى أمره، فلما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة أرسل له جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قضى على حركة ابن الزبير، وانتهى الأمر بمقتله في سنة (١٧٣هـ/٦٩٢م). انظر، ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢ ص ٩-٢٥، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣ ص ٣٠٥، ٣١٦، ٣٥٤، ج٤ ص ٢١-٢٧ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص ١٢٣ - ١٢٤، أبو المحاسن، المصدر السابق، ج١ ص ١٥٨ - ١٩٠ .

(١٣٤) الأزرقى ، المصدر السابق ، ج١ ص ٢٥٢ .

(١٣٥) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ج١ ص ٨٢ .

(١٣٦) الطبرى، المصدر السابق ، ج٨ ص ٨٥. وكان أبو بكر بن عمرو ابن حزم تولى المدينة بعد عزل عمر بن عبد العزيز عنها في سنة (١٩٣هـ/٧١١م) وعزله الوليد بن عبد الملك وولاهها في نفس العام عثمان بن حيان المرمى. انظر، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١٦ .

(١٣٧) ولى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب على خرسان في سنة (١٩٧هـ/٧١٥م) وقام بفتح طبرستان، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة

شاسعة فى البطيحة، فاستخرج منها عدة ضياع عرفت بالشرقى، والجبان والخست والريحية ومغيرتان، وغيرها، فصادرها يزيد واستولى عليها، كما صادر ضيعة عباسان التى كانت لزوجته يزيد بن المهلب (١٣٨)، وكذلك صادر ضيعة مهلبان التى كانت للمغيرة بن المهلب (١٣٩).

وقام هشام بن عبد الملك بمصادرة خالد بن عبد الله القسرى والى العراق فى عهده، وكان خالد ينتسب لقبيلة بجيلة التى قامت بدور كبير فى فتح العراق وجعل لها الخليفة عمر بن الخطاب ربع السواد، مكافأة لها، ثم عاد وأخذ منها وعوض أهلها عن ذلك

(٩٩-١٠١هـ/١٠٢-١٠٥م) طالب يزيد بن المهلب بخمس الأموال التى غنمها، فعجز عن أدائها فسجنه فى جزيرة دهلك ثم نقله لسجن حلب، ولما مرض عمر ابن عبد العزيز استطاع المهلب الهرب إلى البصرة، وأعلن الثورة واستولى على البصرة وأسر واليها واستولى على الكوفة، وأنضمت إليه قبيلة الأزد فعظم أمره، واشتدت سطوته فى عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) فبعث إليه يزيد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فى جيش عظيم، فقتل ابن المهلب فى المعركة التى قامت بينهما، وتفرقت جموعه، وفر أخوته إلى كرمان والسند، ولكن يزيد بن عبد الملك أمر بتعقبهم ونكل بهم، انظر، الطبرى، المصدر السابق، ج٦، ص ٥٢٩، ٥٦٦، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٧٨، ٥٨٨، ٥٠٩، ٦٠٢، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٧، ١٧٦، المبرد، الكامل فى اللغة، مكتبة المعارف بيروت، ج٢، ص ٢٧٢ وما بعدها.

(١٣٨) البلاذرى، المصدر السابق ص ٤٥٤.

(١٣٩) البلاذرى، نفسه ص ٤٥١.

بالأموال مقابل استرجاع الأرض (١٤٠) ، فلما تولى خالد بن عبد الله ولاية العراق عمل على حيازة كثير من الضياع لنفسه بدعوى أن أرض العراق كانت لقبيلته وكان يقول «أننى والله مظلوم ما تحت قدمى من شئ إلا وهو لى» (١٤١) وفى الوقت ذاته كان الخليفة هشام بن عبد الملك من المهتمين بتملك الضياع، فصار بينهما ما يشبه المنافسة الاقتصادية، وزاد من حدة هذه المنافسة الواقعة التى قام بها متوكل ضياع الخليفة هشام فى العراق، فاحتال حتى عرف الخليفة مقدار غلة الضياع التى يمتلكها خالد والتى وصلت على ما قيل ثلاثة عشر ألف ألف ، وفى رواية أخرى عشرين ألف ألف (١٤٢)، فقبض الخليفة على خالد وصادر ضياعه، فاصبحت من ضياع الخلافة (١٤٣).

ولما كان اصطلاح الضياع لا يعنى الأرض الزراعية فقط، ولكنه يعنى - كما يذكر ابن منظور (١٤٤) العقار والمنازل والأرض المغلة (أى الأرض التى يقام عليها الأبنية للاستغلال كالحوانيت والطواحين

(١٤٠) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٣١١ ، ٣٢٨ ، يعقوبى ، البلدان ، ص ٣١٠ .

(١٤١) الطبرى ، المصدر السابق ، ص ٧ ، ص ١٥٢ ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٢٦ .

(١٤٢) الطبرى ، نفسه ، ج ٧ ص ١٤٢ - ١٤٣ ، ابن الأثير ، نفسه ، ج ٤ ص ٢٣٥ .

(١٤٣) الطبرى ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ١٤٢-١٥٤ .

(١٤٤) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٤-٢٦ .

وغيرها)(١٤٥) ، فإن الضياع الأموية كانت تشمل إلى جانب الأرض الزراعية، ممتلكات أخرى امتلكها الأمويون بهدف استغلالها، ففي مصر امتلك معاوية بن أبي سفيان دوراً بالفسطاط(١٤٦)، وقام عبد العزيز بن مروان ببناء عدد من القيساريات(١٤٧). لاستغلالها(١٤٨)، وامتلك الوليد بن عبد الملك حمامات(١٤٩)وحوانيت بالجيزة، وامتلك

(١٤٥) كان يطلق على الأرض التي يقام عليها أبنية للاستغلال كالتواحين والأسواق وغيرها (المستغلات). وكان للدولة في العصر الأموي الكثير من المستغلات حتى أنشئ لها ديوان يعرف بديوان المستغلات. كان عليه في أيام الوليد بن عبد الملك مولاه نفيح بن ذويب واسمه مكتوب في لوح في سوق السراجين بدمشق. انظر، الجهشيارى، المصدر السابق، ص٤٧، الأصطخرى، المصدر السابق، ص٩٦، ضياء الدين الرئيس، المرجع السابق، ص٢٢٧. انظر، The Ency. of Islam, (Art diwan), new edition, Vol. II, p.324.

(١٤٦) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥ .
(١٤٧) القيساريات أو القياسر مفردتها قيسارية. وأصل الكلمة لاتينية (Caesarum) وتعنى البناء الملكى أو الامبراطورى لأن السوق من الأملاك العامة التابعة للدولة أى أنها ذات صفة ملكية، وكانت القيسارية مجموعة من المباني يستغل أسفلها فى إقامة الحوانيت والمخازن والمصانع والمساجد، وأعلامها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر وكانت تعرف باسم منشئها أو ما يباع فيها. انظر، المقرئى، المصدر السابق، ج٢ ص٨٦ - ٩١، أحمد الطوخى، القيساريات الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية العدد ٢٨، سنة ١٩٨١ م، ص٦٧-٦٨.

(١٤٨) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٩٦ .
(١٤٩) الحمامات مبان قائمة بذاتها، تتصل بالطريق العام أو السوق بباب وتتألف من بضع غرف كبيرة تحيط بها غرف صغيرة، وتتوجها قباب تتخللها

هشام بن عبد الملك قيسارية بالفسطاط تعرف بقيسارية هشام كان يباع فيها البز (الحرير) الفسطاطي (١٥٠).

وفى أقليم الحجاز امتلك معاوية بن أبي سفيان فى مكة العديد من الدور التى قام ببناء بعضها، وبشراء البعض الآخر (١٥١)، واشترى معاوية أيضا دوراً بالمدينة (١٥٢)، كما أتخذ بسوق المدينة دارين، دار يقال لها القطران، والأخرى يقال لها دار النقصان وضرب عليهما الخراج، وبنى هشام بن عبد الملك دار كبيرة فى سوق المدينة وجعل فى أسفلها حوانيت تكرى على التجار، وفى أعلاها مساكن تكرى للسكن (١٥٣) وفى بلاد الشام كان للأمويين كثير من الممتلكات كان منها على سبيل المثال: إقامة هشام بن عبد الملك

ثقوب ينفذ منها الضوء ، ويستحم بها الناس مقابل أجر. أخذها العرب من الشعوب التى قبلهم كاليونان والرومان. انظر، دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٨ ص ٧٨، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١١٠-١١٢.

(١٥٠) ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(١٥١) الأزرقي ، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٣٨-٢٣٩.

٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، الأصفهاني، المصدر السابق، جـ ٣ ص ٢٧٦ .

(١٥٢) الزبيرى ، المصدر السابق ، ٤٢٦ ، ابن حزم ، المصدر السابق،

١٨٦ ، الجاحظ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٥٨ .

(١٥٣) ابن شبه ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٧٠ ، السهوى، المصدر

السابق، جـ ٢ ص ٧٥٠.

فى مدينة صور (١٥٤) فندقا (١٥٥) ومستغلا (١٥٦) ، كما أستغل محمد بن مروان بن الحكم بحيرة الطريخ (١٥٧) فكان يصاد سمكا ويبيع له، ثم صارت تلك البحيرة لأبنة الخليفة مروان بن محمد (١٥٨).

(١٥٤) صور: مدينة حصينة من ثغور المسلمين على بحر الشام، يحيط بها البحر من جميع جوانبها، وبها دار صناعة السفن. انظر، يعقوبى، البلدان، ص ٣٢٧، ياقوت، المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٢٢.

(١٥٥) الفندق أو الخان: عبارة عن بناء يؤجر لإقامة التجار الأجانب ويتألف من عدة طوابق، الدور الأرضى منها عبارة عن مخازن وحوانيت تطل على فناء داخلى فسيح تبعاً فيها البضائع أما الأدوار العليا ففيها مساكن لإقامة التجار، انظر، ياقوت، المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٤١، ج ٤، ص ٢٧٧، انظر، فريد شافعى، العمارة العربية الإسلامية، الرياض ١٩٨٢، ص ٢٤٠، ١٢٦.

(١٥٦) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(١٥٧) الطريخ : كلمة أمينية مأخوذة من «طريخوس» Tarichos ومعناها التمليح، والطريخ نوع من السمك الصغير، قيل أنه سمك الرنجة، وقيل أنه سمك السردين، وكان يصاد من بحيرة الطريخ بأرمينيا بكميات كبيرة، وينقل إلى كثير من الأقطار كالموصل، ونواحي الجزيرة والعراق والشام، وبحيرة الطريخ يطلق عليها أيضا بحيرة خلاط، وبحيرة وان وبحيرة أرجيس، ولكن الغالب عليها بحيرة الطريخ، انظر، ياقوت، المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٨١، ابن حوقل ، المصدر السابق، ص ٢٩٧، ابن الأثير، ج ٤ ص ٢٨، القزوينى، المصدر السابق، ص ٥٢٤، فايز أسكندر، الحياة الاقتصادية فى أرمينية، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ص ٢٦ .

(١٥٨) البلاذرى ، المصدر السابق، ص ٢٣٧، ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٨ .

وكانت رغبة الأمويين فى امتلاك الضياع تجعلهم يشتتونها
أحيانا فى تحقيق هذه الرغبة، فيقومون بالاستيلاء على ما ليس لهم
الحق فيه، وتروى المصادر الكثير مما يؤخذ على الأمويين فى هذا
السبيل فاشترى معاوية بن أبى سفيان من أهل المدينة الكثير من
الأرض والدور بعد أن ضيق عليهم العطاء بسبب موقفهم المعارض من
السياسة الأموية ورفضهم بيعه يزيد بن معاوية (١٥٩). كما يروى ابن
عبد الحكم (١٦٠) ما تحدث به الناس عن معاوية بن أبى سفيان عندما
أقطع ابنه يزيد قرية من قرى الخراج بالفيوم فيقول : «وأقطع
معاوية أيضا يزيد قرية من قرى الفيوم، فاعظم الناس ذلك وتكلموا
فيه، فلما بلغ ذلك معاوية كرهه قاله الناس فرد تلك القرية إلى
الخراج كما كانت للمسلمين».

ويروى ابن شبه وينقل عنه (١٦١) السهمودي أن الرسول (صلى
الله عليه وسلم) عندما أتخذ للمسلمين سوقا بالمدينة بعد هجرته إليها
جعلها صدقة ونهى عن أخذ الخراج عنها، فلما تولى معاوية الخلافة
أقام بها دارين، يقال لأحدهما دار القطران، والأخرى دار النقصان
وضرب عليهما الخراج، فلما تولى عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة
(٨٧-٩٣هـ / ٧٠٥-٧١١م) أعاد السوق إلى ما كانت عليه منذ عهد

(١٥٩) الزبيرى، المصدر السابق، ص ١٥٤، ٣٨٩. محمد محمد شراب،
المدينة فى العصر الأموى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٤م. ص ٢٢٢-٢٢٥.
(١٦٠) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٧٥.
(١٦١) ابن شبه، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١، السهمودي، المصدر
السابق، ج ٢ ص ٧٤٧ - ٧٥٠.

الرسول (صلى الله عليه وسلم) وألقى الخراج الذى فرضه معاوية، ولكن هشام بن عبد الملك عاد وبنى بها دارا كبيرة، أدخل بها سوق المدينة كله، وأقام بها حوانيت أخذها التجار بالكراء، وعبر أهل السوق عن رفضهم وغضبهم لما فعله هشام بن عبد الملك بسوقهم، فما كادوا يسمعون خبر وفاته حتى قاموا بهدم دار هشام ونهبوا أبوابها وخشبها.

ويروى البلاذرى (١٦٢) صورة أخرى لاشتطاط هشام بن عبد الملك فى حيازته الممتلكات فيقول : «كان لرجل من ولد أبى معيط بعكا أرحاء (طواحين) ومستغلات، فاراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إياها، فأبى المعيطى ذلك عليه فنقل هشام الصناعة إلى صور واتخذ بها فندقاً ومستغلاً» ومهما يكن فى هذا النص من مبالغة فى جعل سبب نقل دار صناعة السفن من صور إلى عكا لهذا السبب إلا أنه يدل دلالة واضحة على مدى رغبة هشام بن عبد الملك فى حيازة الممتلكات واستغلالها وإدراك الناس لذلك الأمر .

وكانت رغبة يزيد بن عبد الملك فى تملك الضياع فى البصرة سببا فى استيلاء والى العراق عمر بن هبيرة الفزارى (١٠٢-١٠٥هـ / ٧٢٠-٧٢٣م) على فضول مساحات الضياع دون وجه حق حتى ضج الناس من هذا الفعل وغضبوا (١٦٣).

وأقدم محمد بن مروان بن الحكم على الاستيلاء على سمك بحيرة الطريخ دون وجه حق، وكان صيد الأسماك فيها قبل عهده

(١٦٢) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص. ١٤٠ .

(١٦٣) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص. ٤٥٠ .

مباحاً للجميع، فمنع محمد بن مروان الصيد فيها وأحتكرها لنفسه، فكان يبيع أسماكها ويأخذ أثمانها لنفسه، ثم صارت من بعده لولده مروان بن محمد، ثم قبضها العباسيون واحتكروها مثلما فعل محمد بن مروان بعد سقوط الدولة الأموية (١٦٤) ويعلق ابن الأثير على سوء هذا الفعل فيقول «ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزرهم شيء» .

امتلاك الضياع والعمران المدني :

وعلى الرغم مما أقدم عليه الأمويون في سبيل اقتناء الضياع من بعض الأعمال غير المشروعة، والتي أخذت عليهم - كما ذكرنا - إلا أن الفائدة التي عادت على الدولة من إقبال الأمويين على تملك الضياع كانت عظيمة، ولم تقتصر هذه الفائدة على اتساع الرقعة الزراعية ونموها فقط، ولكن تعدتها إلى اتساع العمران وازدهاره بصورة كبيرة وقد أشار ابن خلدون (١٦٥) إلى أن اهتمام الدولة بالعمران وتكثيره

(١٦٤) ابن الأثير ، المصدر السابق، ج٤، ص٢٨، وانظر كذلك، ابن حوقل، المصدر السابق، ص٢٩٧، أبو المحاسن، المصدر السابق، ج١ ص١٩٠ .

(١٦٥) يقول ابن خلدون «أن الدولة والملك صورة الخليفة والعمران ، وكلها مادة لها من الرعايا والأمصار وسائر الأحوال وأموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من أسواقهم ومتاجرهم، وإذا أفاض السلطان عطاءه وأمواله في أهلها أنبثت فيهم ورجعت إليه ثم إليهم منه فهي ذامبة عنهم في الجباية والخراج عائدة عليهم في العطاء، فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة وأصله كله العمران» .

انظر، ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ص٣٧١ .

يعود بالخير على ازدهار النواحي الاقتصادية مما ينتج عنه كثرة الجباية والخراج، وقد استخدم الأمويون العلاقة بين العمران المدنى والأرض الزراعية أحسن استخدام ووظفوا كل منهما فى خدمة الآخر، فكان امتلاكهم للضياع فى منطقة معينة دافعا لاهتمامهم بأعمار هذه المنطقة وإسكان الناس فيها وتحصين أسوارها، ومن أمثلة ذلك ما قام به مسلمة بن عبد الملك عندما امتلك الضياع ببلدة بالس فقد اهتم بتعميرها وإسكان الناس بها ثم عمل على تحصين المدينة ورم سورها وأحكم بنائه (١٦٦). وكذلك عندما اتخذ مروان بن محمد ضيعة له بورثان بعد أن أحيا أرضها عمر ورثان وحصنها (١٦٧). وعندما ألجأ أهل المراغة ضياعهم لمروان بن محمد قام ببناء وتعمير بلدة المراغة وتالف وكلاؤه الناس فكثروا فيها وعمروها (١٦٨).

وكما كان امتلاك الأمويين للضياع سببا فى امتداد العمران، كان إقامة الأمويين لمجتمع عمرانى جديد سببا فى اتساع ممتلكاتهم من الضياع، ذلك أنهم حرصوا على إنشاء ظهير زراعى يخدم الحاجات الغذائية لتلك المجتمعات العمرانية الجديدة التى كانوا يقومون بإنشائها فى البداية، ومن ثم يقومون بمد الأنهار وحفر القنوات والآبار، واستصلاح الأرض وتعميرها .

(١٦٦) البلاذرى، المصدر السابق، ص ١٧٨، ياقوت، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٨ .

(١٦٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٤٠٤، ياقوت، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٧١ .

(١٦٨) البلاذرى، نفسه، ص ٤٠٤، ياقوت نفسه، ج ١ ص ٩٢ .

ومن أمثلة هذه المجتمعات العمرانية المدن الجديدة التى عمل الأمويون على إقامتها ومنها مدينة حلوان. فعندما أراد عبد العزيز بن مروان اتخاذ مدينة حلوان والإقامة بها لم يكتف بتعميرها بالدور والقصور والمساجد، ولكنه اهتم اهتماما كبيرا بوجود ظهير زراعى بها فعمل على إنشاء البساتين بها وزراعة أرضها بالكروم وغرس النخيل بها، فكان ذلك عاملا من عوامل اتساع ممتلكاته من الضياع (١٦٩).

وعندما تولى سليمان بن عبد الملك ولاية فلسطين فى عهد الوليد بن عبد الملك وأراد إنشاء مدينة صحراوية ليسكنها بدلا من مدينة لد (١٧٠) التى كانت حاضرة لفلسطين منذ الفتح الإسلامى فأنشأ مدينة الرملة (١٧١) على بعد ميل من مدينة لد، وبدأ بإنشاء قصر له،

(١٦٩) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٧٦، الكندى، المصدر السابق، ص ٤٩، المقرئى، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٠٩، أبو المحاسن، المصدر السابق، ج ١ ص ١٧٢، ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٤.

(١٧٠) لد : مدينة قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، انظر، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ٧٩، ياقوت، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٥.

(١٧١) اتخذت مدينة الرملة اسمها من أن مكانها كان قبل إنشاء سليمان ابن عبد الملك لها كان رمالا، وهى رابعة المدن الإسلامية التى أنشأها المسلمون بعد البصرة والكوفة والفسطاط، وأنشأها سليمان بن عبد الملك ليحفظ الناس ذكرهم كذكرهم لأبيه فى بناء قبة الصخرة وذكرهم لأخيه الوليد ببناء مسجد دمشق. انظر البلاذرى، المصدر السابق، ص ١٧٠، الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٤٨-٤٩، يعقوبى، تاريخ يعقوبى، ج ٢ ص ٢٩٢، المسعودى، التنبيه والإشراف، ص ٢٢٧، ابن خرداذبة، المصدر السابق ص ٧٨-٧٩.

ثم دار تعرف بدار الصاغين ثم أختط المسجد وبناء للناس فى البناء، فبنوا فيها، ولكى يعمل على إعمار مدينة الرملة احتفر لأهلها قناة تدعى بردة، وحفر آبار كثيرة وولى النفقة عليها كاتباً له، وظلت النفقة على آبار الرملة وقناتها جارية طوال العصر الأموى، وقد نشأ عن إعمار الرملة وحفر قناتها وآبارها قيام ظهير زراعى حول هذه المدينة الشهيرة بزراعة الفواكه (١٧٢)، وظلت مدينة الرملة مقراً لسليمان بن عبد الملك بعد توليته الخلافة (١٧٣). وكانت عاملاً من عوامل اتساع ممتلكاته من الضياع.

وعندما أراد هشام بن عبد الملك إنشاء الرصافة التى تعرف برصافة هشام (١٧٤) على طرف البرية ليسكنها صيفاً عمرها بالقصور الفخمة والمساكن والأسواق وأحكم حولها الأسوار (١٧٥)، ثم عمل على تنمية الرقعة الزراعية حولها، ولما لم يكن لها نهر ولا عين

(١٧٢) انظر البلاذرى، المصدر السابق، ص ١٧٠-١٧١، الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٤٨-٤٩، اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٢٩٣، المسعودى، التنبيه والاشراف، ص ٣٢٧، ياقوت، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٩.

(١٧٣) التنوخى، المستجد من فعلات الأجواد، تحقيق يوسف البستانى، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٩.

(١٧٤) تقع رصافة هشام غربى مدينة الرقة العراقية بينهما أربعة فراسخ فى طرف البرية، انظر، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ٩٨، ياقوت المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧، القزوينى، المصدر السابق، ص ١٩٨.

(١٧٥) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٢٢، ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧.

جارية بنى بها الصهاريج، ثم أنشأ فى الطريق إليها رقعة واسط وبنى بها قصرين (١٧٦) له ثم حفر نهري الهنى والمرى من نهر الفرات واتخذ ضيعته المشهورة التى عرفت أيضا بالهنى والمرى، والتى كانت مكانا مفضلا له، ونتج عن ذلك أن نمت المزارع وأقيمت القرى العامرة حولها (١٧٧). واتخذ هشام بن عبد الملك كذلك القصور والمنازل فى القطيفة (١٧٨) وهى مدينة على طرف البادية بالشام، وقام بتعميرها (١٧٩).

وكانت القصور الصحراوية (١٨٠) التى أغرم الأمويون بإنشائها فى بلاد الشام عاملا من أهم عوامل امتداد الرقعة الزراعية ونمو

(١٧٦) ياقوت، المصدر السابق، ج٢ ص ٦٠.
(١٧٧) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٢١٢، ياقوت، المصدر السابق، ج٤ ص ٤١٩.
(١٧٨) القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البرية من ناحية حمص، انظر، ياقوت، المصدر السابق، ج٤ ص ٢٧٨.
(١٧٩) اليعقوبى، البلدان، ص ٢٢٥، ياقوت، المصدر السابق، ج٤ ص ٢٧٨.

(١٨٠) عدد سوفاجية (Sauvaget) من هذه القصور حوالى ٢٠ قصرا كان أهمها قصر هشام بن عبد الملك أو قصر الحير الغربى، وقصر الحير الشرقى، قصر الحلابات، قصر المشتى، قصر أم الوليد، قصر الطوبة، قصر معان، قصير عمرة، انظر .

Sauvaget: «Chateaus umayyades de syrie.

Contribution a L'étude de la colonisation Arabe

Aux L^{er} et II^e siecles de L'Hegire» Revue des Etudes

Islamiques, XXXV, (1967). pp 35-40.

ممتلكات الأمويين من الضياع ، وعلى الرغم مما ذكر من آراء عديدة حول أسباب انشاء الأمويين لهذه القصور والتي كان منها حنين الأمويين للصحراء ورغبتهم فى تنشئة أبنائهم فى بيئة عربية خالصة ، وهروبهم من الأوبئة والحشرات الموجودة بالمدن وممارسة الصيد والقنص ، وتقويم سنتهم باللغة العربية السليمة (١٨١) إلا أن الأبحاث الأثرية الحديثة التى قامت على أماكن هذه القصور أثبتت أن من أهم الأسباب التى أقيمت من أجلها كثير من هذه القصور هى اتخاذ الضياع للاستثمار الزراعى فالقصر لم يكن بناء معزولا وسط الصحراء ، ولكنه كان قصرا تحيط به الأرض الزراعية ، وينتشر حوله عدد من البيوت ومسجد وحمام ، ويحتوى هذا التجمع العمرانى إلى جانب ذلك على مخازن للحبوب، ومعاصر وطواحين، وكانت مشروعات الري كالقنوات والسدود وغيرها تقام لخدمة تلك الأرض الزراعية ، التى تنمو ليعمر على جنباتها قصورا وقرى ومزارع ، وكل ذلك يثبت أن تلك القصور التى أقامها الأمويون لم تكن أقامتها من أجل الأسباب التى سبق ذكرها فقط، ولكنها أقيمت أيضا لتكون استثمارا زراعيا ذو عائد إقتصادى (١٨٢).

إدارة الضياع :

كانت ضياع بنى أمية تدر عائدا كبيرا عليهم، فالأمويون حرصوا على توفير المقومات اللازمة لنجاح الزراعة بها ، - كما

(١٨١) انظر ، ياقوت ، المصدر السابق، ج٢ ص٤٨، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢م، ص٢٤١-٢٤٢، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ مادة «بادية» .

ذكرنا - اختاروا ضياعهم فى الأماكن التى تتميز أرضها بالخصوبة بها، وعملوا على توصيل مياه الرى إليها ، وتوفير الأيدى العاملة بها، هذا بالإضافة إلى تواجد المجتمعات العمرانية التى يستهلك سكانها المنتجات الزراعية لتلك الضياع (١٨٣)، ويزيد من هذا العائد أن الأمويين كانوا يدفعون عن ضياعهم للدولة ضرائب خفيفة إذا قورنت بغيرها من الأرض الزراعية التى يمتلكها غيرهم (١٨٤). وعلى الرغم من أن هذه الضياع كان بعضها قد تكون فى الأصل من أراضى الخراج وبعضها من أراضى العشر ، إلا أنه من الواضح أن هاتين الفئتين لم يفرق بينهما بعد أن غدت تلك الضياع ملكا للأمويين فدفعوا عن ضياعهم العشر (١٨٥)، وحتى هذا العشر لم يكن يجبى كاملا ولكنه كان يجبى مخففا ، وكثيرا ما كان يترك ولا يطالب به أعواما ، ولم يكن لجباة الخراج الحق فى جباية الضريبة من تلك الضياع ، فكان صاحبها يدفع خراجها مباشرة للديوان وفى هذا تفسير هروب بعض الملاك من قسوة الجباة إلى إلقاء ضياعهم باسم أمراء أمويين لاتكون لهؤلاء الجباة سلطة دخول ضياعهم وجباية الخراج منها ،

(١٨٣) كان هشام بن عبد الملك يحرص على بيع محصولات ضياعه قبل أن يبيع الآخرين محاصيلهم حتى يضمن بيعها بسعر جيد. فكان هشام يكتب إلى والى العراق خالد بن عبد الله القسرى «لاتبيعن من الغلات شيئا حتى تباع غلات أمير المؤمنين، فبلغت كيلتها دارهم» . انظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٤ ص ٢٢٦ .

(١٨٤) انظر، جرجى زيدان ، المرجع السابق ، ج٢ ص ١٢٧-١٢٨ .

(١٨٥) السيد الباز العرينى ، الإقطاع فى الشرق الأوسط، ص ١٢٠-١٢١.

مع ما فى هذا الالءاء من فءءان لءق ملكفة ضفاءهم مع مرور الزمن (١٨٦).

لم تشر المصادر المءءالة التى بفن أفءفنا إلى قاعة ءابءة سار علفها الأمفون فى إءارة ضفاءهم، ولكن من الءابء أن الخلففة أو الأمفر كان فوكل من فقوم بإءارة ضفاءه ففابة عنه فى الأقلفم الذى فمءلك ففه الضفاء، وفى بعض الأحيان كان صاءب الخراء فى الأقلفم فوكل إلىه هذا العمل، فكان لمعاوفة بن أبف سففان وكفلا فقوم بأمر ضفاءه فى المءفنة المنورة، اسمه عبء الرءمن بن أبف أءمء بن ءءش (١٨٧)، ولما آلت هذه الضفاء إلى فزفء ابن معاوفة كان وكفله علفها فسمى ابن مفنا (١٨٨)، وقام بأمر ضفاء معاوفة فى فلسطين صاءب الخراء سلفهان المشءعف (١٨٩)، وكان عبء الرءمن بن ءارج صاءب الخراء وأءوه عبء الله فنفظران فى أمر ضفاء معاوفة فى العراق (١٩٠)، وءقلء أمر ضفاء هشام بن عبء الملك فى الأردن اسءاق

(١٨٦) انظر، قءامة بن ءعفر، المصدر السابق، ص٢٤١، الاصءءرفف، المصدر السابق، ص٩٦، الخوارزمف، المصدر السابق، ص٤١، ءرفف زفءان، المرفء السابق، ءء٢ ص١٢٠، السفء الباز العرفنف، الإءطاع فى الشرق الأوسط، ص١٢١-١٢٥، ضفاء الءفن الرفس، المرفء السابق، ص٢٦٨.

(١٨٧) السمهورف، المصدر السابق، ءء٤ ص١٢٧٦.

(١٨٨) الفعقوبف، المصدر السابق، ءء٤ ص٢٥٠، السمهورف، المصدر السابق، ءء١ ص١٢٦.

(١٨٩) ءءشعارف، المصدر السابق، ص٢٦.

(١٩٠) ءءشعارف، المصدر السابق، ص٢٤.

ابن قبيصة بن ذؤيب واسمه مكتوب على قصر من قصور الضياع
بالفسيفاء «مما جرى على يدى اسحاق بن قبيصة» (١٩١)، وكذلك
كان يتقلد لهشام بن عبد الملك ضياعه بنهر الرومان فروج أبو
المثنى، ثم تقلدها حسان النبطى (١٩٢)، وكان لمروان بن محمد
وكلاء يديرون ضياعه فى المراغة (١٩٣).

ومن المؤكد أن هؤلاء الوكلاء كانوا ذوى الدراية والخبرة
بالأرض الزراعية حتى يستطيعوا الاضطلاع بمهمة اختيار الجيد من
الضياع، فكان الخليفة والأمير الأموى إذا ما أراد شراء الضياع يحدد
أحيانا لوكيله مواصفات الضياع التى يريد شراءها ، فطلب معاوية
من وكيله بفلسطين أن يشتري له الضياع على أن تكون بعيدة عن
المناطق المجذبة وأن يختارها فى الأماكن التى يسهل ربيها بمياه
المطر وحقق الوكيل رغبته فاشترى له ضياعا بالبطنان حيث ينزل
بها ماء المطر فيكرم نباتها (١٩٤). وفى أحيان أخرى كان الوكيل
يقوم باختيار عدة ضياع ويعرض كل منها على موكله بمواصفاتها
ويترك له مهمة الاختيار، فعندما أراد معاوية شراء الضياع فى

(١٩١) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(١٩٢) الجهشياري ، نفسه ، ص ٦١ ، الطبرى، المصدر السابق ، ج ٧

ص ١٤٢ .

(١٩٣) البلاذرى ، المصدر السابق، ص ٤٠٤ ، ياقوت، المصدر السابق،

ج ٩٣ .

(١٩٤) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٢٦ ، ياقوت ، المصدر السابق،

ج ١ ص ٤٤٧-٤٤٨ .

المدينة المنورة طلب ذلك من وكيله عبد الرحمن بن أبي أحمد بن جحش فعرض عليه عدة أودية يختار منها فاختر الغابة لكثرة شجرها ومائها (١٩٥).

وكان الوكيل أيضا يقوم بمهمة استصلاح الأرض واستخراج الضياع منها، فقام عبد الله بن دراج باستصلاح الضياع لمعاوية في العراق (١٩٦) وقام حسان النبطي باستصلاح أراض واسعة من البطيحة لكل من الخليفة الوليد وهشام بن عبد الملك (١٩٧).

وكان على الوكيل أيضا الاهتمام بأمر المزارعين الذين يلجئون ضياعهم لموكله فيعمل على الاهتمام بامرهم وترغيبهم في الإقامة في المكان حتى يكثُر العمران فيه، فيقول البلاذري (١٩٨) عن وكلاء مروان بن محمد على ضياعه في المراغة: «وكان أهلها ألجاوها إلى مروان فابتناها، وتآلف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها».

كان الوكيل يقوم أيضا بمهمة تسلم حاصل الضياع لموكله وكان هذا الحاصل يؤخذ من هذه الضياع إما عينا أو نقدا، فإذا ما كان عينا

(١٩٥) السهودي ، المصدر السابق ، ج٤ ص ١٢٧٦ .

(١٩٦) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨ ، قدامة بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ، الباوردي ، المصدر السابق ص ١٩ .

(١٩٧) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ ، الباوردي ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(١٩٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٤٠٤ .

كان غالبا ما يؤخذ بطريق الضمان أو القبالة (١٩٩) وذلك بأن يقوم المتقبل بدفع مبلغ معين من المال مقابل أن يقوم هو بجباية الخراج من المزارعين فى الضياع التى تقبلها فيستفيد صاحب الضيعة تعجيل المال ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله (٢٠٠) وكان الوكيل أحيانا يقوم هو نفسه بضمن الضياع، فكان فروخ أبو المثنى يتقبل ضياع هشام بن عبد الملك، ثم زاد عليه حسان النبطى مبلغ ألف ألف درهم فاعطاها هشام لحسان النبطى (٢٠١)، وفى حالة ما كان يؤخذ عينا فكان على الوكيل مهمة تسلم الحاصل العينى وارساله لموكله، فكان ابن مينا المتوكل على أمر ضياع معاوية بن أبى سفيان، فى المدينة يتسلم من المزارعين كل سنة حاصل الضياع من التمر والحنطة (٢٠٢). كانت ضياع مسلمة بن عبد الملك فى بالس يحمل إليه ثلث غلاتها كل عام (٢٠٣).

(١٩٩) القبالة، بالفتح الكفالة وهى فى الأصل مصدر قبل إذا كفل، وقبل بالضم إذا صار قبيل أى كفيلا، وتقبل به تكفل به، والتبيل: الكفيل، انظر، ابن منظور، المصدر السابق، ج٥ ص ٢٥٢١.

(٢٠٠) وكان الفقهاء لايقرون نظام القبالة من الناحية الشرعية، وذلك لأن المتقبل يعمل دائما على ظلم الزراع وعنفهم حتى يحصل على أكثر مما دفع للدولة أو لصاحب الضياع، انظر، ابو يوسف، المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦، الماوردى، المصدر السابق، ص ١٧٦، ابن منظور، المصدر السابق، ج٥ ص ٢٥٢١، ضياء الدين الريمى، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

(٢٠١) الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٦١، الطبرى، المصدر السابق، ج٧ ص ١٤٢-١٤٣، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤ ص ٢٢٥.

(٢٠٢) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢ ص ٢٢٤، ٢٥٠، السهوى، المصدر السابق، ج١ ص ١٢٧-١٢٨.

(٢٠٣) البلاذرى، المصدر السابق، ص ١٧٨.

وكان لبعض هؤلاء الوكلاء سلطات كبيرة حتى يتسنى لهم جمع الخراج من الضياع فتروى المصادر (٢٠٤) أن ابن مينا المتوكل لضياع معاوية في المدينة كان يصطحب الجند معه حتى لا يمتنع الزراع عن تقديم ما هو مقرر عليهم من المحصول. بل أن هذه المصادر تذهب إلى أن امتناع بعض أهل المدينة المستأجرين لضياع معاوية عن دفع المحصول المقرر عليهم ومناوشتهم لابن مينا كان سببا لغضب يزيد بن معاوية على أهل المدينة وثورته عليهم وارساله جيشا من الشام لمحاربتهم (٢٠٥) في موقعة الحرة في سنة (٦٢٣هـ/٦٨٢م) (٢٠٦).

وتروى المصادر أيضا مثالا آخر لما وصل إليه وكلاء الضياع من قوة فتذكر أن حسان النبطي المتوكل على ضياع هشام بن عبد الملك في العراق استطاع أن يوغر صدر هشام بن عبد الملك على

(٢٠٤) يعقوبى ، تاريخ يعقوبى ، ج٢ ص ٢٥٠ ، السهمودى ، المصدر السابق ، ج١ ص ١٢٨ .

(٢٠٥) يعقوبى ، تاريخ يعقوبى ، ج٢ ص ٢٥٠ ، السهمودى ، المصدر السابق ، ج١ ص ١٢٨ .

(٢٠٦) ثار أهل المدينة وخلصوا الخليفة الأموى يزيد بن معاوية لسوء سيرته ، فأرسل لهم جيشا كبيرا بقيادة مسلم بن عقبة المرى في سنة (٦٢٣هـ/٦٨٢م) والتقى مع أهل المدينة في معركة غير متكافئة ، هزم فيها أهل المدينة وقتل منهم عددا كبيرا واستباح الجيش الأموى المدينة وأعمل فى أهلها القتل ، انظر ، يعقوبى ، تاريخ يعقوبى ، ج٢ ص ٢٥٠-٢٥٢ ، الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١ ص ٢٧-٢٥ ، الطبرى ، المصدر السابق ، ج٥ ص ٤٨٢ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص ١١٥-١١٦ ، السهمودى ، المصدر السابق ، ج١ ص ١٢٦-١٢١ ، ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ج١ ص ١٧٦ - ١٨٨ .

الوالى خالد بن عبد الله القسرى وكان ذلك مسببا فى عزل خالد ومصادرته وذلك بسبب الخلاف الذى كان بين خالد بن عبد الله القسرى وحسان النبطى (٢٠٧).

(٢٠٧) يروى الطبرى أن خالد بن عبد الله القسرى كان يضر بحسان، «فيقول له : حسان لاتفسدنى وأنا صنيعة فأبى إلا الاضرار به ، فلما قدم عليه، بثق البشوق على الضياع ثم خرج إلى هشام فقال: إن خالدًا بثق على ضياعك، فوجه هشام رجلا، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره ، فقال حسان لخادم من خدم هشام: إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام فلك عندى ألف دينار، قال : فجعل لى الألف وأقول ما شئت قال : فجعلها له ، وقال له : بك صبيا من صبيان هشام، فإذا بكى فقل له: اسكت: والله لكأنك ابن خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشرة ألف ألف، فسمعها هشام فأغضى عليها، ثم دخل حسان بعد ذلك، فقال له هشام: ادن منى، فدنا منه، فقال : كم غلة خالد؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف قال: فكيف لم تخبرنى بهذا قال : وهل سألتنى ؟ فوقرت فى نفس هشام فأزمع على عزله . انظر، الطبرى ، المصدر السابق . ج٧، ص١٤٢-١٤٣.

خاتمة

بينت هذه الدراسة أن الأراضي الزراعية التي وجدت في الأقطار التي فتحها المسلمون أصبحت بعد الفتح أرضا خراجية يدفع عنها أصحابها ضريبة الخراج وأرضا عشرية يدفع عنها أصحابها العشر، وأرض الصوافى وهى الأرض التى آلت ملكيتها للدولة لأنها وجدت بدون ملاك وعلى الرغم من اختلاف موقف الخلفاء من هذه الأرض فلم يقطعها الخليفة عمر بن الخطاب واستغلها لصالح بيت المال فى حين أقطعها الخليفة عثمان بن عفان وكانت منها صلاته وعطاياه إلا أنها ظلت ملكا للدولة فى عهدهم ولم يحز الخلفاء الراشدين منها ضياعا امتلكوها لأنفسهم، ولما منح منها الخليفة عثمان إقطاعات كان يمنحها لمن يدفع عنها حق الفىء وكانت بذلك إقطاع إجارة لإقطاع تمليك. ولكن وضع هذه الأرض تغير فى عهد الأمويين.

كما بينت هذه الدراسة أن الأمويين عملوا منذ بداية أمرهم على تنمية ثرواتهم الخاصة حتى يتسنى لهم القيام بما يتطلبه منصب الخلافة من نفقات وكان أهم هذه الثروات هى امتلاك الضياع التى كان للأمويين وسائلهم فى امتلاكها. وكانت أهم هذه الوسائل الاقطاعات التى كان يحرص الخليفة الأموى القائم فى الحكم على منحها لأهل بيته من الأمويين فى هذا السبيل أرض الصوافى، وعلى الرغم من أن القاعدة الفقهية تنص على عدم تملك الاقطاع من أرض الصوافى ملكية

دائمة لا يكون لصاحبه إلا حق النفعة فقط، إلا أن الأمويين حازوا من أرض الصوافى كثيرا من الاقطاعات منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان واستمرت حيازتهم لها فى عهد الأمويين ورغم الموقف الذى أبداه الخليفة عمر بن عبد العزيز واعلانه عدم شرعية هذه الاقطاعات لأنها فى الأصل ملكا للأمة الإسلامية وقيامه برد اقطاعاته إلا أن الأمويين تملكوها وتوارثوها عن بعضهم البعض حتى نهاية دولتهم.

وتبين لنا أيضا أن إحياء الأرض الموات كان من الوسائل التى أضافت لحوزة الأمويين ضياعا شاسعة، فى هذا السبيل بجهود عظيمة سواء ما كان منها فى مجال تخفيف أرض البطانح فى العراق واستصلاحها وزاعتها ، أو فى مجال الاهتمام بمشروعات الرى من حفر الأنهار والآبار وإقامة السدود والقناطر حتى تصل المياه للأرض البور، واستصلحوا من هذا السبيل ضياعا عديدة.

ومن الوسائل التى لجأ إليها الأمويون فى تملك الضياع وبينتها هذه الدراسة شراء الأرض الزراعية التى حرص الأمويون على أن تكون من الأراضى الخصبة ذات الموقع الممتاز، وكان إقبال الأمويين على شراء الأرض جعلهم يسمحون للمسلمين بشراء الأرض الخراجية مما نتج عنه تحول كثير من الأرض العشرية إلى أرض خراجية، مما أفقد الدولة جزءاً كبيراً من دخلها.

وكان نظام الإلجاء الذى عاد للظهور فى العصر الأموى من الوسائل التى نمت عن طريقها ممتلكات الأمويين من الضياع، وكانت

الزيادة فى الضرائب وقسوة الجباة وتشددهم من الأسباب التى جعلت صغار الملاك يتلمسون الحماية لدى الأمراء الأمويين فيطلبون منهم أن تسجل ضياعهم باسماء الأمراء الأمويين فى ديوان الخراج. فيمتنع الجباة عن التعرض لهذه الضياع وجباة خراجها إلا من خلال المالك الجديد من الأمويين وبمرور الزمن كان هؤلاء الملاك الصغار يفقدون حقهم فى ضياعهم التى تتحول إلى ملكية الأمويين لتكون من وسائل زيادة ضياعهم.

وأثبتت هذه الدراسة أنه من بين الوسائل التى نمت عن طريقها الضياع الأموية كانت المصادرات التى أوقعها الأمويون على الخارجين عليهم أو على من يريدون عقابهم واستولى الأمويون على ضياع عديدة من هذا المجال كان هؤلاء كونوها لأنفسهم.

وكشفت هذه الدراسة أن الضياع الأموية كانت تضم إلى جانب الأرض الزراعية ما يقام على هذه الأرض من مبان للاستغلال وامتلك الأمويون منها: الدور والقيساريات والحوانيت والحمامات والطواحين، وصيد البحيرات.

وقد أوضحت هذه الدراسة أنه على الرغم من اقدام الأمويين فى سبيل امتلاك الضياع على بعض الأعمال غير المشروعة كالاستيلاء على ما ليس لهم حق فيه من أراض وأسواق وبحيرات إلا أن الفائدة التى عادت على الدولة من وراء تملكهم الضياع كانت عظيمة ولم تقتصر هذه الفائدة على اتساع الرقعة الزراعية ونموها واتساعها ولكن تعدتها إلى اتساع العمران المدنى وازدهاره بصورة لم يسبق لها

مثيل، فكان امتلاكهم للضياع فى منطقة معينة دافعا لاهتمامهم بإعمار هذه المنطقة وتحسين أسوارها وتآلف الناس وترغيبهم فى سكناها، وفى الوقت ذاته كان حب الأمويين للعمران ورغبتهم فى بناء القصور وإنشاء المدن الصحراوية الجديدة دافعا لهم على الاهتمام باستصلاح الأرض الزراعية فيها لإيجاد ظهير زراعى يكفى الحاجات الغذائية لهذا المجتمع العمرانى الجديد.

وأخيرا فإن هذه الدراسة قد بينت أن الأمويين قد اسندوا إدارة ممتلكاتهم من الضياع إلى وكلاء كانوا من ذوى الخبرة فى مجال الأرض الزراعية، ومنحهم الأمويون سلطات حتى يستطيعوا القيام بمهامهم التى كان منها حيازة الضياع لموكلهم سواء عن طريق استصلاح الأرض أو شراء الجيد منها، وتسلم حاصل الضياع سواء كان عينا أو نقداً وكان على هؤلاء الوكلاء أيضا ترغيب الفلاحين وتالفهم لاعمار المناطق التى تقع بها الضياع.

قائمة بأسماء الخلفاء الأمويين

الخلافة	هجريّة	ميلاديّة
معاوية بن أبي سفيان	٤١-٦٠	٦٦١-٦٧٩
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	٦٠-٦٤	٦٧٩-٦٨٣
معاوية بن يزيد بن معاوية	٦٤	٦٨٣
مروان بن الحكم	٦٤-٦٥	٦٨٣-٦٨٤
عبد الملك بن مروان	٦٥-٨٦	٦٨٤-٧٠٥
الوليد بن عبد الملك	٨٦-٩٦	٧٠٥-٧١٤
سليمان بن عبد الملك	٩٦-٩٩	٧١٤-٧١٧
عمر بن عبد العزيز بن مروان	٩٩-١٠١	٧١٧-٧١٩
يزيد بن عبد الملك	١٠١-١٠٥	٧١٩-٧٢٣
هشام بن عبد الملك	١٠٥-١٢٥	٧٢٣-٧٤٢
الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١٢٥-١٢٦	٧٤٢-٧٤٣
يزيد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٣
ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٧	٧٤٤
مروان بن محمد بن مروان بن الحكم	١٢٧-١٣٢	٧٤٤-٧٤٩

قائمة بأسماء بعض وكلاء الضياع

مكان الضياع	الوكيل	الحيطة
المدينة المنورة	عبد الرحمن بن أبي أحمد بن جحش	مأوية بن أبي سفيان
فلسطين	سليمان بن المشجعي	
العراق	عبد الرحمن وعبيد الله بن دراج	يزيد بن معاوية
المدينة المنورة	أبن مينا	هشام بن عبد الملك
الأردن	اسحاق بن قبيصة بن ذؤيب	
نهر الرومان	فروخ أبو المشني	
نهر الرومان	حسان النبطي	

المصادر والمراجع

أولا المصادر :

- ١ - ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد عبد الواحد الشيباني
(ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
الكامل في التاريخ
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٠ م
- ٢ - الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد
(ت ٢٢٤ هـ / ٨٥٨ م)
أخبار مكة
مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ،
١٩٧٨ م .
- ٣ - الاصطخرى : ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى
المعروف بالكرخي (توفي في النصف
الأول من القرن الرابع الهجري)
المسالك والممالك
تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ،
وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- ٤ - الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين
(ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م)
الأغاني
دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

- ٥ - البلادزى : أحمد بن يحيى بن جابر
(ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
فتوح البلدان
نشر صلاح الدين المنجد ، مكتبة
النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٥٨م .
- ٦ - التنوخي : أبو علي الحسن بن علي
(ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)
المستجد من فعلاات الأجواد
تحقيق يوسف البستاني ، دار العرب ،
القاهرة ، ١٩٨٥م .
- ٧ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر
(ت ٢٢٥هـ / ٨٦٩م)
البخلاء
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- ٨ - _____ : البيان والتبيين
تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- ٩ - الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس
(ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)
الوزراء والكتاب
تحقيق مصطفى السقا وآخرون ،
مطبعة الحلبي .

- ١٠ - ابن حزم : أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)
جوهرة أنساب العرب
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- ١١ - الحنبلي : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)
الاستخراج لأحكام الخراج
صححه السيد عبد الله الصديق ، ضمن موسوعة الخراج ، دارالمعرفة ، بيروت .
- ١٢ - ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبى (توفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى)
صورة الأرض
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ١٣ - ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)
المسالك والممالك
ليدن ، بريل ١٨٨٩ م .
- ١٤ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
مقدمة ابن خلدون
مؤسسة الأعلامى ، بيروت

- ١٥ - الخوارزمي : أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف
(ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م)
مفاتيح العلوم
مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة
١٩٨١ م .
- ١٦ - ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر
(ت ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م)
الأعلاق النفيسة
ليدن ، بريل ، ١٨٨٢ م .
- ١٧ - الزبيرى : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن
المصعب (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م)
نسب قريش
نشر إ. ليفى بروفنسال ، دار المعارف ،
القاهرة .
- ١٨ - السهمودى : نور الدين على بن أحمد
(ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ،
دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- ١٩ - ابن شبة : أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى
(ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م)

تاريخ المدينة المنورة
تحقيق فهد محمد شلتوت ، دار
الاصفهانى للطباعة ، جدة ، ١٩٧٩م.

: أبو الحسن الهلال بن المحسن
(ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م)
تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء
تحقيق عبد الستار فرج ، دار احياء
الكتب العربية ، ١٩٥٨م .

: أبو جعفر محمد بن جرير
(ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
تاريخ الرسل والملوك
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
دار المعارف ، القاهرة .

: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
(ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م)
فتوح مصر وأخبارها
تحقيق محمد صبيح ، مؤسسة التعاون
للطبوع والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م .

: أبو عبيد القاسم بن سلام
(ت ٢٢٤هـ / ٨٢٨م)
الأموال

٢٠ - الصابى

٢١ - الطبرى

٢٢ - ابن عبد الحكم

٢٣ - أبو عبيد

تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

: أبو القاسم علي بن الحسن هبة الشافعي
(ت ٥٧٧هـ / ١١٨١ م)

تهذيب تاريخ دمشق الكبير
تهذيب عبد القادر بدران ، دار السيرة ،
بيروت

: مجد الدين بن أبي طاهر محمد بن
يعقوب (ت ٨٢٣هـ / ١٤١٥ م)

المغانم المطابة في عالم طابة
تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار
اليمامة ، الرياض ، ١٩٦٩ م .

: أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب
البغدادي (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م)

نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة
ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن
خرداذبة ، ليدن ، بريل ، ١٨٨٩ م .

: محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م)

الامامة والسياسة
تحقيق طه الزيني ، مؤسسة الحلبي ،
القاهرة .

٢٤ - ابن عساكر

٢٥ - الفيروزبادي

٢٦ - قدامة بن جعفر

٢٧ - ابن قتيبة

- ٢٨ - القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود
(ت٦٨٢هـ / ١٢٨٤م)
آثار البلاد وأخبار العباد
دار صادر ، بيروت .
- ٢٩ - القلقشندي : أبو العباس أحمد (ت٨٢٣هـ / ١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الانشا
القاهرة ، ١٩٦٣م .
- ٣٠ - ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر
(ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
البداية والنهاية
دار الفكر العربى ، القاهرة .
- ٣١ - الكندى : أبو عمر بن محمد بن يوسف
(ت٣٥٠هـ / ٩٦١م)
كتابة الولاة وكتاب القضاة
تصحيح رفن كست ، مطبعة الآباء
اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م .
- ٣٢ - الماوردى : أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى
(ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
الأحكام السلطانية والولايات الدينية
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- ٣٣ - المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد
(ت٢٨٥هـ / ٨٩٨م)

الكامل فى اللغة والأدب

مكتبة المعارف ، بيروت .

٣٤ - أبو المحاسن

: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن

تغرى بردى الأتابكى

(ت ٧٨٤هـ / ١٤٨٩م)

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

القاهرة ، ١٩٦٣م .

٣٥ - المسعودى

: أبو الحسن على بن الحسين على

(ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

مروج الذهب ومعادن الجوهر

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ،

١٩٦٤م .

: التنبيه والإشراف

٣٦ -

دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١م .

٣٧ - المقرئى

: تقى الدين أبى العباس أحمد بن على

(ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

دار صادر ، بيروت .

٣٨ - ابن منظور

: محمد بن مكرم الأنصارى

(ت ٧١١هـ / ١٣١١م)

لسان العرب

دار المعارف ، القاهرة .

٣٩ - يحيى بن آدم :

يحيى بن آدم القرشى

(ت ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م)

كتاب الخراج

تصحيح أحمد محمد شاكر ، ضمن

موسوعة الخراج ، دار المعرفة ،

بيروت .

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن

وهب (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)

تاريخ اليعقوبى

دار بيروت للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

البلدان :

ملحق بكتاب الاعلاق النفيسة لابن

رسته ، ليدن ، بريل ، ١٨٩٢ م .

٤٢ - أبو يوسف :

يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)

كتاب الخراج

ضمن موسوعة الخراج ، دار المعرفة ،

بيروت .

ثانيا : المراجع والمصادر :

- ٤٢ - بل : هـ . أيدرس
مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح
العربى
ترجمه وأضاف إليه عبد اللطيف أحمد
على - دار النهضة العربية ، بيروت ،
١٩٧٣ م .
- ٤٤ - جرجى زيدان :
تاريخ التمدن الإسلامى
القاهرة ، ١٩٠٢ م .
- ٤٥ - السيد الباز العرينى :
مصر البيزنطية
دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦١ م .
- ٤٦ - _____ :
الدولة البيزنطية
دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ٤٧ - سيدة اسماعيل كاشف :
مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى
إلى قيام الدولة الطولونية ، دار النهضة
العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ٤٨ - ضياء الدين الرئيس :
الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية
القاهرة ، ١٩٧٧ م .

- ٤٩ - فايز اسكندر :
الحياة الاقتصادية فى أرمينية إبان الفتح
الإسلامى
دار الفكر الجامعى ، الأسكندرية .
- ٥٠ - فريد شافعى :
العمارة الإسلامية
الرياض ، ١٩٨٢ م .
- ٥١ - فلهوزن :
يوليوس :
تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام
إلى نهاية الدولة الأموية
ترجمة محمد عبد الهادى وحسين
مونس ، لجنة التأليف والترجمة ،
القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- ٥٢ - عبد المنعم ماجد :
تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور
الوسطى
مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦ م .
- ٥٣ - _____ :
التاريخ السياسى للدولة العربية ، عصر
الخلفاء الأمويين
مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٢ م .
- ٥٤ - محمد حسن شراب :
المدينة فى العصر الأموى
مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ١٩٨٤ م .

ثالثا : الدوريات ودوائر المعارف :

٥٥ - أحمد الطوخي :

القياسيات الإسلامية
مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ،
العدد ٢١ ، سنة ١٩٨١ م .

٥٦ - السيد الباز العرينى :

الاقطاع فى الشرق الأوسط منذ القرن
السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى
حوليات كلية آداب عين شمس ، المجلد
الرابع ، يناير ، ١٩٥٧ م .

٥٧ - دائرة المعارف الإسلامية المترجمة .

58 - The encyclopaedia of Islam, New edition
London, 1960.

59 - Fateh, Mostafa Khan: «Taxation in Persia»,
Bulletin of the School of Oriental Studies, London
Institution, Vol. IV, 1962 - 1928.

60 - Sauvaget : « Chateaus umayyades de syrie
Contribution a L'étude de la Colonisation Arabe
Aux 1^{er} et 11^e Siecles de L' Hegire» Revue des
Etudes Islamiques, XXXV, 1967.

محتويات الكتاب

الصفحة

٢	- المقدمة
٥	- الأراضي الزراعية قبل العهد الأموي
١٣	- الوسائل التي اتبعها الأمويون في تملك الضياع
١٤	- الإقطاعات
٢٦	- استصلاح الأراضي
٣٥	- شراء الأراضي
٤٠	- نظام الإلجاء
٤٣	- المصادرات
٥٢	- امتلاك الضياع والعمران المدني
٥٧	- إدارة الضياع
٦٥	- الخاتمة
٦٩	- الملاحق
٧١	- المصادر والمراجع

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٩١/٩٩٨٦

I.S.B.N.

977-00-2744-8
